روايات مصرية للجيب

21

رجل المستحيل

نبيل فاروق

سلسلة الأعداد الخاصة

Looloo
www.dvd4arab.com

البارون الأحمر

رجل المستحيل

(أدهم صـــبرى) .. ضـــابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن ــ 1) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقـــم (واحـــد) فيعنى أنه الأول من نوعـــه ؛ هـــذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هـــذا بالإضـــافة إلى إجادته التامة لستٍ لغـــات حيّة ، وبراعتـــه الفائقة فى استخدام أدوات التنكُّر و(المكيـــاج) ، وقيـــادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدِّدة .

لقد أجمع الجميع على أنه من المستحيل أن يجيد رجـــل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..

ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربيـــة ، لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

1 ـ نيـــران الصـــحراء ...

توسطت الشمس كبد السماء ، فى ذلك اليوم شديد الحرارة ، وخاصة فى تلك البقعة من صحراء (المكسيك) الجبلية ، التى تمتد رمالها إلى مدى البصر ، وتحيط بها سلاسل جبلية شاهقة ، تعكس المزيد من حرارة الشمس ، فتجعل المكان أشبه ببحر من النيران ، لم تحتمله حتى حيوانات الصحراء ، فاختفت فى جحورها ، فى انتظار هبوط الليل ، الذى يحيل المناخ ، فى هذه البقعة من الأرض ، إلى برد لطيف ، يطيب لها فيه الخروج ، والسعى خلف طعامها وشرابها ...

وتحت ذلك القيظ المميت ، أقام بعضهم خيمة كبيرة ، بدت بلونهـــا الأحمر الدمـــوى ، أشبه ببقعة غير متناسقة ، مع ذلك اللون الأصفر ، الذى يكسو كل ما حولها تقريبًا ...

وتحت منتصف هذه الخيمة ، استقر مقعد ضخم ، أشبه بعرش ملكى ، جلس فوقه رجـــل قوى البنية ، رياضى القوام ، يرتدى قميصًا مزركشًا ، يناسب أحد الشواطئ الفاخرة ، وأقام بعضهم

www.dvd4arab.com

من حوله نظام تهوية حديث ، يستمد طاقته من عربة توليد قوى ، حولت خيمته الحمراء ، إلى منتجع سياحى ، فى قلب الصحراء ..

وعلى بعد أمتـــار من الخيمة ، انشغل فريق من رجاله ، فى صنع حفرة عميقة ، بعمق ستة أمتار ، تناسب ذلك التابوت المعدنى الثقيل ، المستقر إلى جوارها ...

وعلى بعد متر واحـــد مـــن ذلك التابوت ، سقط رجل متين البنيان على ركبتيه ، محاطًا بأربعة رجال أشداء ، يحصوّب كل منهم مدفعه الآلى إلى رأسه ...

كان من الواضح أن الرجل قد تم تخديره بوسيلة ما ، إذ كانت عيناه نصف مسبلتين ، ورأسه يجاهد للاستقرار فوق كتفيه ، وهو مكمم الفم ، بشريط لاصق قوى ، ومقيد المعصمين خلف ظهره ، بأغلال فولاذية متينة ، وكاحلاه مربوطان بمثلها ...

وفى ثقة شامتة متغطرسة ، ألقى الجالس على ذلك العرش الصحراوى نظرة ساخرة ، على الرجـــل المقيَّد ، والتقط من جواره صورة كبيرة ، نقل بصره لحظات ، بينها وبين وجه أسيره وكأنما يتيقن من هويته ، قبل أن يعيد الصورة إلى جواره ، قائلاً :

ـــ أظنك لم تتوقع أبدًا أن تنتهى حياتك الحافلة على هذا النحو ، يا سنيور (صاندو) .

رفع الرجل عينيه المتخاذلتين إليه ، وكمامته المتينة تمنعه من الرد ، فتابع الرجل فى امتعاض :

ـــ الواقع أن تاريخك يبهرنى ، منذ فترة ليست بالقصيرة ، وملفك الضخم ، الذى أرسلته إلىَّ صديقتى العزيزة (سونيا جراهام) زادنى انبهـــارًا بك ، خاصة وأنك رجـــل المخابرات الوحيد ، وربما عبر التاريخ ، الذى استطاع أن يهزم كل أجهزة المخابرات العالمية تقريبًا .

ثم ارتســـمت على شفتيه ابتسامة ظافـــرة ، وهـــو يميل إلى الأمام ، مكملاً :

ـــ لست أدرى ، أكانت هذه براعة منك ، أم سخافة منهم .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية متغطرسة ، قبـــل أن يلتقط من جواره سيجارًا كوبيًّا فاخرًا ، أسرع أحد رجاله يشعله له ، لينفث هو دخانه فى استمتاع ، قبل أن يتابع :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ والمهم أنهم قد أعلنوا وفاتك أكثر من مرة ، وتصوروا فى كل مرة أنهم قد تخلصوا من أكبر شوكة فى ظهورهم ، ولكنك كنت تعود إلى الظهور ، وكأنك تمتلك فى أعماقك الأرواح التسعة ، لأى قط مصرى(*)

هزّ كتفيه ، وعاد ينفث دخان سيجاره ، ثم قال :

ــ من الواضح أنهم ، وعلى الرغم من شدة معرفتهم بك ، لم يقدّروك حق قدرك يا رجل .

انعقد حاجباه عند هذه النقطة ، واستعاد غضب ذاكرة قريبة ، وهو يتابع :

ــ ودعنى أعترف بأنك قد جشمتنا الكثير ، خلال ساعات الصراع السابقة ، وأننى قد خسرت بسببك ما يقرب من أربعين ، من أفضل رجالى .

حاول الرجل جاهدًا أن يرفع عينيه إليه ، ولكن ذلك المخدّر القوى كان يسرى فى عروقه ، ويمنعه من اتخاذ رد فعل مناسب .

ولقد لاحظ الجالس على عرش الصحراء هذا ، فابتسم فى تلذذ ، وقال ، وهو يلوح بيده الممسكة بالسيجار :

(*) الثقافة الغربية كلها تؤمن بأنه للقط تسعة أرواح ، وليس سبعة مثل الثقافة الشرقية .

ــ ولكن القتال مع أجهزة مخابرات شىء ، ومع البارون الأحمر شىء آخر .

نطق الاسم الذى عرف به ، فى دهاليز عالم الجريمة المنظمة ، والجاسوسية الحرة ، فى زهو واضح ، مع ابتسامة مغرورة ، قبل أن يتابع :

ــ لقد أدركت منذ فترة ، أن العالم كله صارت تحكمه التكنولوجيا ، منذ عقدين من الزمان على الأقل ، وأنه على من يرغب فى أن يتسيَّد هذا العالم ، أن يمتلك ، ليس أحدث التكنولوجيا فحسب ، ولكن تكنولوجيا تسبق الآخرين بخطوتين على الأقل .

ثم أشار بسيجاره إلى الرجل المقيَّد ، مضيفًا :

ــ ولعلك أدركت هذا بنفسك .

التقط نفسًا عميقًا من سيجاره ، ونفثه فى بطء واستمتاع ، ثم ارتشف رشفة من العصير المثلج إلى جواره ، وأضاف :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ كنا وحدنا نملك الأسلحة ، فى هذه المواجهة ، ولم يكن باستطاعتك ، مهما فعلت ، أن تمتلكها ... بل لا يستطيع رجالى أنفسهم أن يستبدلوا أسلحتهم ببعضها البعض ؛ لأن كل سلاح يستحيل أن يعمل ، إلا ببصمة صاحبه ، ومن دونها لن يطلق رصاصة واحدة .

ثم عاد يطلق ضحكته المتغطرسة ، مضيفًا :

ــ ولقد أدركت هذا بنفسك أيضًا .

بدت من الرجل حركة ، تشف عن محاولته التخلُّص من قيوده ، فابتسم البارون الأحمر فى سخرية ، وقال :

ــ أنصحك ألا تحاول ، فحتى تلك القيود ، تحكمها التكنولوجيا .. إنها ستزداد إحكامًا ، حتى ولو غاصت فى معصميك وكاحليك ، كلما حاولت التخلُّص منها ، لذا فليس أمامك سوى أن تهدأ ... وتنتظر .

توقف الرجل عن المقاومة ، بعد أن شعر بصحة حديث البارون الأحمر ، فقـد زاد ضغط القيود بالفعل ، مع محاولته الأخيرة ، وتألَّقت عينا البارون ، وهو يقول :

ــ بالضـبط ... من الواضح أنك سريع الاستيعاب يا سـنيور (صاندو) .

نهض فجأة ، على نحو أثار توتر رجاله أنفسهم ، واتجه نحو التابوت المعدنى ، وهو يقول :

ــ هذا التابوت أيضًا ، هو تحفـة تكنولوجية مدهشة ، فهو يحوى مكيفًا للهواء ، يتوقف تلقائيًا ، بعد أربعين ساعة من بدء تشغيله ، ونظام إمداد بالأكسجين ، يكفى شخصًا بالغًا ليومين كاملين ... تحفة ... أليس كذلك ؟!

ربَّت على التابوت المعدنى فى إعجاب ، ثم سحب يده فى حركة حادة ، وهو يهتف ساخرًا :

ــ ولكنه ملتهب من الحارج ، وهذا أمر طبيعى ، فى هذا الطقس الرهيب .

ابتسم ابتسامة كبيرة ، ونفث دخان سيجارته مرة أخرى ، ثم راح يدور حول الرجل المقيَّد ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـــ الواقع أننى ، ومنذ ظهورك ، بدأت أفكّر فى كيفية مصرعك ؛ فمع رجل بتاريخك الحافل ، ومواجهاتك اللا محدودة ، سيكون من العار أن تلقى مصرعك بوسيلة عادية ، مثل أى شخص عادى...حتى الموت بالرصاص ، لم يبد فى نظرى إبداعًا .

توقّف فجأة ، والتمعت عيناه ، وهو يضيف فى زهو :

ـــ ولهذا ابتكرت لك ميتة مختلفة تمامًا... ومتميّزة للغاية ... حتى إننى أستخدم الآن ثلاث كاميرات مختلفة ؛ لتصوير مشهد النهاية من ثلاث زوايا ... لابد وإن يعلم العالم كله ، أن البارون الأحمر هو من وضع نهاية لحياتك ... أليس كذلك ؟!

قالها ، والتفت إلى إحدى آلات التصوير ، وابتسم ابتسامة عريضة ، وكأنما يضع توقيعه على المشهد ، ثم تابع :

ـــ الرجال انتهوا تقريبًا من حفر قبرك ، والآن سيتم وضعك داخل هذا التابوت ، الذى يغلق بإحكام ، وهو بالمناسبة ، مضاد للرصاص ، وحتى القنابل ، وبعدها سنقوم بتشغيل أجهزة الأكسجين وتكييف الهـــواء ، ثم ندفنك مع التابوت ، على عمق

ستة أمتار ، فى قلب الصحراء ... ولن نترك حتى أية علامات مميّزة ، يمكن أن تقود إلى قبرك .

التقط نفسًا عميقًا من سيجارته ، وبدا شديد الاستمتاع بموقفه كله ، وهو يواصل فى زهو :

ـــ ميتة فريدة بالفعل... ستحيا ليومين كاملين ، دون طعام أو شراب ، على عمق ستة أمتار من سطح الأرض ، وبعدها يتوقّف جهاز التكييف ، وينقطع الأكسجين ، وتموت فى بطء ... فى بطء شديد .

أطلق ضحكة استمتاع عالية ، جعلته أشبه بوحش مجنون ، قبل أن يقول :

ـــ كنت تسخر من ارتباطى باللون الأحمر ، ولكنك الآن ستلقى مصرعك داخل تابوت أحمر ... أليس هذا عقابًا مناسبًا .

أشـــار إلى رجاله ، عقـــب عبارته الأخيرة ، فانقضوا على الرجل ، الذى حاول جاهدًا أن يقاومهم ، ولكن تأثير ذلك المخدر أعجزه عن هذا ، وهم يحملونه عنوة إلى ذلك التابوت المعدنى

www.dvd4arab.com

الأحمر ، ويلقونه داخله فى قسوة ، ثم يحكمون إغلاقه بمنتهى الإحكام ...

راقـب البـارون الأحمر هذا ، فى استمتاع شديد ، وتألّقت عينـاه على نحـو وحشى ، عنـدما بـدأ ونش كبيـر ، يرفع ذلك التابوت ، الـذى يـزن طنيـن على الأقـل ، ثم ينخفـض به إلى أعماق تلك الحفرة العميقـة ، حتى اسـتقر فى قاعها ، وهنـا ، بـدأ رجـال البـارون الأحمر ، يهيلـون عليـه رمـال الصحـراء ، حتى اختفى تحتهـا تمامًا ، ثم واصلوا عملهـم ، حتى تسـاوت الرمـال مـع سـطح الصحراء ، وبعدها مرَّ الونش فوقهـا عـدة مرات ، حتى يضـيع أى أثر للمكان .

تألقت عينا البارون الأحمر بشدة ، وهو يتابع المشهد حتى النهاية ، ثم اتجه إلى عرشه ، والتقط تلك الصورة ، وألقى نظرة أخيرة عليها ، وهو يقول :

ـ وداعًا يا سنيور (أميجو صاندو) .

ثم التفت ؛ ليلقى بالصورة نحو البقعة ، التى دفن أسفلها ذلك التابوت ، مكملاً فى وحشية ظافرة :

ـ أم هل أقول : يا (أدهم صبرى) ؟!

قالها ، وعاد يطلق ضحكة وحشية عالية ، تجعلنا نلقى سؤالاً خطيرًا ....

لو أن هذه هى النهاية ، فكيف كانت البداية ؟!...

كيف ؟!.

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

2 ـ اللغـــز ...

التقى حاجبا (أدهم صبرى) فى شدة ، على نحو استرعى انتباه (منى توفيق) و(قدرى) معًا ، وهما يستقلان سيارته ، ولاحظ كلاهما أنه يمسك بيده مظروفًا أحمر اللون ، على نحو عجيب ، ويطالع خطابًا ، حمل فى زاويته علامة كبيرة حمراء ، جعلت (منى) تغمغم فى عصبية ، دون أن تحاول إخفاء غيرتها :

ـ أخطاب غرامى هذا ؟!

هزَّ (أدهم) رأســـه فى صـــمت ، وواصل مطالعة الخطاب لحظات ، فأطلق (قدرى) ضحكة عابثة ، اهتزَّ لها كرشه الضخم ، وهو يغمز بعينه ، قائلاً :

ـ لو أنه كذلك ، لما جرؤ على قراءته فى حضورك يا عزيزتى .

لم يشعرها جواب (قدرى) بأى قدر من الارتياح ، وإنما ظلَّت تتطلع إلى (أدهم) ، فى مزيج من القلق والفضول والغيرة ، حتى أدار هذا الأخير عينيه إليها ، وقال وهو يطوى الخطاب ، ويعيده إلى ذلك المظروف الأحمر العجيب :

ـ إنه عرض من مستثمر أمريكى ؛ لشراء مزرعة (أميجو صاندو) فى (المكسيك)(*)

غمغمت (منى) :

ـ وماذا يقلقك فى هذا ؟!... لقد كنت تفكِّر فى بيعها ، منذ زمن طويل .

أجابها فى حزم :

ـ هـــذا صحيح ... لقـــد عرضتها للبيـــع ، عبـــر مؤسستى فى الولايات المتحدة الأمريكيـــة ، والتى تحمـــل اسمى هناك (أميجو صاندو) .

بدت عليها حيرة متوترة ، وهى تسأله :

ـ أهذا المستثمر امرأة ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ إنه لم يعلن اسمه ... فقط شعار أحمر اللون ، يحمل حرفى آر و بى بالإنجليزية .

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) المغامرة رقم (81) من سلسلة (رجل المستحيل) .

Looloo
www.dvd4arab.com

سأله (قدرى) هذه المرة :

ــ أهذا ما يقلقك ؟!

أجابه (أدهم) فى ضيق واضح :

ــ بل ما يقلقنى حقًا هو أنه لم يرسل الخطاب إلى مؤسسة (صاندو) ، بل أرسله إلى هنا... إلىَّ أنا مباشرة .

تحوَّل قلق وغيرة (منى) إلى دهشة كبيرة ، وهى تقول :

ــ ولكن هذا يعنى أن ...

قاطعها (أدهم) بنفس الضيق :

ــ أنه يعلم أن مؤسسة (صاندو) تخصنى فعليًا ... وليس هذا فحسب ، ولكنه أراد أن يخبرنى بعلمه هذا أيضًا .

انتقل القلق إلى (قدرى) ، وهو يقول :

ــ وما الذى يستهدفه من هذا ؟!

صمت (أدهم) بضع لحظات ، ارتسمت على وجهه خلالها علامات التفكير العميق ، قبل أن يغمغم :

ــ لست أدرى بعد .

مرَّت عليهم لحظات مـــن صمت ، قبل أن يقطعه (قدرى) ، قائلاً فى مرح :

ــ وهل سيمنع هذا دعوتك لنا على عشاء فاخر ؟!

ثم مال نحو (أدهم) ، مردفًا وهو يغمز بعينه :

ــ ودَسِم .

حاولت (منى) أن تبتسم لدعابته ، ولكن قلقها وتوترها منعاها من هـــذا ، فى حين أدار (أدهم) محرِّك سيارته ، وهو يقول :

ــ كلا بالطبع .

كان قد اختار مكانًا شديد التميز ، يعلو أحد الفنادق الكبرى المعروفة ، ويطـــل من خـــلال مطعم دوار على القاهرة كلها ، ويدور حول محوره فى بطء ، خلال ساعتين من الزمن ، بحيث يشاهد الجالس العاصمة كلها ، والتى تتألق بأضواء ساحرة فى الليل ...

ولقد كان الطعام شهيًا بالفعل ، حتى إن (قدرى) انهمك فيه بكل حواسه ، فى حين لم تتناول (منى) منه إلا أقل القليل ،

www.dvd4arab.com

وذهنها منشغل بأمر ذلك الخطاب ، فى حين بدا (أدهم) كأنه قد نسيه تمامًا ، حتى انتهى الطعام ، وبدأ (قدرى) وحده فى التهام طبقًا كبيرًا من الحلوى ، وهو يقول فى استمتاع :

ــ اختيار رائع يا صديقى ... فى المرة القادمة ستكون الدعوة على نفقتى .

ابتسم (أدهم) وهو يقول فى هدوء :

ــ أنت على الرحب والسعة دومًا يا صديقى .

مع نهاية عبارته ، مالت (منى) نحوه ؛ لتلقى عليه سؤالاً ، لولا أن برز رجل غربى الملامح فجأة ، يرتدى حلة فاخرة ، يبلغ ثمنها عدة آلاف من الجنيهات ، ووقف إلى جوار (أدهم) ، قائلاً :

ــ هل أتشرف بالوقوف أمام السيد (أدهم صبرى) شخصيًا ؟!

رفعت (منى) عينيها إليه فى قلق ، فى حين استدار إليه (أدهم) فى بطء ، متسائلاً فى هدوء :

ــ هل سبق أن تعارفنا ؟!

ابتسم الرجل ابتسامة زلفة ، وهو يجيب :

ــ سؤال لبق يا سيِّد (أدهم) ؛ فأنت من الذكاء ، بحيث تعلم جيدًا أنه لم يسبق لنا أن التقينا .

ثم أخرج من جيبه بطاقة ، وضعها أمام (أدهم) ، مستطردًا :

ــ ولكن من دواعى فخرى أن نتعارف .

تعلَّقت الأعين بتلك البطاقة ، خاصة أنها كانت حمراء اللون ، تمامًا مثل ذلك المظروف ، وعادوا جميعًا يتطلعون إلى الرجل ، الذى شد قامته ، وهو يكمل فى اعتداد :

ــ أنا (ميل توبلكس) ... محـــامٍ أمريكى ، أعمل لحساب مؤسسة كبرى ، تريد عقد صفقة ممتازة معك يا سيِّد (أدهم) .

تطلَّع إليه (أدهم) لحظات ، دون أية انفعالات ، ووجهه الجامد لا يشف عما يعتمل فى نفسه ، قبل أن يسأله فجأة :

ــ لماذا اللون الأحمر ؟!

كان من الواضح أن السؤال لم يفاجئ المحامى ، الذى ابتسم فى هدوء ، متسائلاً :

ــ ألن تدعونى إلى الجلوس أوَّلاً ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه (أدهم) فى حزم صارم :

ــ كلاً ... هذه السهرة تضم الأصدقاء فحسب ، ولست أظنك تندرج تحت هذه الفئة .

لم يبد الضيق على المحامى ، وإنما حافظ على ابتسامته ، وهو يقول :

ــ من يدرى ...؟ ربما صرت كذلك فيما بعد .

قال (أدهم) بنفس الصرامة :

ــ لست أعتقد هذا .

أومأ المحامى برأسه متفهمًا ، دون أن يفقد ابتسامته ، وهو يقول :

ــ إنها صفقة تساوى مائة مليون دولار على الأقل ، ولكنك دومًا تفضّل الصداقة ، على أى شىء يا سيد (أدهم) .

أشاح (أدهم) بوجهه عنه ، وكأنه ينهى المحادثة ، قائلاً فى حزم :

ــ هذا صحيح .

قال المحامى ، فى برود عجيب :

ــ كنت أتعشّم التشرف بالجلوس مع أعز صديقيك ... الآنسة (منى توفيق) ، من أوّل دفعة لفتيات المخابرات فى (مصر) ، والعبقرى (قدرى) ، صاحب الأصابع الذهبية ، والقادر على إعادة صنع أى شىء وكل شىء .

التفت إليه الثلاثة بنظرة دهشة ، أضاف إليها (أدهم) شيئًا من القسوة ، وهو يسأله :

ــ ما الذى تحاول الوصول إليه يا رجل ؟!... ومن أين أتيت بما تقول ؟!

اتسعت ابتسامة المحامى ، وحملت شيئًا من الظفر ، وهو يقول :

ــ أخشى أنك مضطر لاستضافتى على مائدتك ، لو أنك ترغب فى معرفة الجواب يا سيد (أدهم) .

رمقه (أدهم) بنظرة صارمة لحظة ، ثم هبّ من مقعده ، وواجهه مباشرة ، وهو يقول بكل الصرامة :

ــ وماذا عن لكمة مباشرة ، فى أنفك الأحمر هذا ؟!..

www.dvd4arab.com

لم يبد أن عبارته قد أثرت كثيرًا فى المحامى ، الذى ظل ثابتًا ، وهو يقول :

ــ معلوماتنا أنــك ــ وعلى الرغــم من مواهبــك المتعددة ، وقدراتك الفذة ــ رجل مهذَّب يا سيد (أدهم) ، و(جنتلمان) حقيقى ، ومثلك لن يلكم رجلاً مثلى ، فى مكان كهذا ، خاصة وأنك تجلس مع أعز صديقين لك .

شعرت (منى) بتوتر شديد ، خاصــة أن (أدهــم) قد ضمَّ قبضته بالفعل ، وبدا كأنه سيلكم الرجل فعليًا ، فأسرعت تقول :

ــ لن يضيرنا هذا يا (أدهم) ... دعه يجلس ؛ فالفضول سيقتلنا ، لو أنه انصرف ، قبل أن نعرف ما خلفه .

ظلَّت قبضة (أدهم) مضمومة لحظات ، ثم لم يلبث أن أرخاها ، وهو يقول بنفس الصرامة :

ــ فليكن ... اجلس .

بدا ارتيــاح ظافر على وجــه المحامى ، وهو يجذب مقعدًا ، ويجلس إلى جــوار (قــدرى) ، الذى أبعد مقعده عنه قليلاً ، و(أدهم) يسأل فى صرامة :

ــ مازال سؤالى بلا جــواب ... لماذا اللــون الأحمر ؟ وماذا يعنيه ؟!

هزَّ المحامى كتفيه ، وقال :

ــ هذا أمر يمكنك أن تجد جوابه على شبكة الإنترنت يا سيد (أدهم) ؛ فالمؤسسة التى أعمل لحسابها ، تمتلك موقعًا ضخمًا عليها .

سأله (قدرى) فى فضول ، وهو يخرج هاتفه الحديث :

ــ وما اسم تلك المؤسسة بالضبط ؟!

أدرك المحامى على الفور أنه سيبحث عن الاسم ، عبر شبكة الإنترنت ، من خلال هاتفه ، فأجاب فى هدوء :

ــ البارون الأحمر .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :

ــ أيعنى هذا أنها مؤسسة ألمانية الجنسية ؟!

ابتسم المحامى ، دون أن يجيب ، فى حين تساءل (قدرى) ، وهو يواصل بحثه :

ــ ولماذا ألمانية بالتحديد ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابته (منى) ، وهى تتطلّع إلى المحامى فى حذر وشك :

ــ البارون الأحمر لقب أحد أساطير الطيران ، فى الحرب العالمية الأولى ، وهو (مانفريد فون ريتشوفن) ، ولقد أطلقوا عليه هذا الاسم ، نسبة إلى الطائرة التى يقودها ، والتى كانت ذات لون أحمر مميَّز ، ولقد أسقط ما يقرب من ثمانين طائرة ، خـــلال زمن الحرب ، وكان من النبل ، حتى إنه أنقذ يومًا أحد الطيارين المعادين ، عندما سقطت به طائرته ، مما جعل منه رمزًا لأسطورة الطيران فى زمنه(*) .

اتسعت ابتسامة المحامى ، وهو يقول :

ــ ثقافة واسعة لم تدهشنى يا آنستى .

بدت لهجة (أدهم) شديدة الصرامة ، وهو يقول :

ــ مازلت لم تجب سؤالى بعد .

حمل صوت المحامى شيئًا من الصرامة هذه المرة ، وهو يقول :

ــ من المؤسف أننى لست مخوَّلاً لإجابة هذا السؤال يا سيد (أدهم) .

(*) حقيقـــة

ضرب (أدهم) سطح المائدة براحته ، قائلاً فى صرامة :

ــ هذا ينهى المحادثة .

ساد الصمت بضع لحظات ، بعد أن نطق (أدهم) عبارته الأخيرة ، والتقت نظراته بنظرات المحامى الأمريكى ، فى تحـــدٍّ متبادل ، قبل أن ينهض هذا الأخير بحركة حادة ، قائلاً :

ــ فليكن يا سيد (أدهم) ... موكلى أراد إنهاء الصفقة على نحو متحضِّر ، ومادمت ترفض هذا ، فعلىَّ أن أبلغه فورًا ؛ لأن لديه ترتيبات أخرى .

قالها ، وهمَّ بالانصراف ، ولكن (أدهم) أمسك معصمه فى قوة ، وهو يقول :

ــ لو أن هذا تهديد يا رجل ، فإن ...

قاطعه المحامى فى صرامة ، وهو يحاول عبثًا جذب معصمه ، من قبضته الفولاذية :

ــ موكلى ينتظر اتصالى يا سيد (أدهم) .

ظلَّ (أدهم) ممسكًا بمعصم المحامى لحظات ، ثم لم يلبث أن أفلته ، وهو يقول فى صرامة قاسية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لا تنس أن تخبره أننى سألتقى به قريبًا ، ولست أظن هذا سيروق له عندئذ .

جذب المحامى يده ، وهو يقول فى توتر :

ــ سأخبره .

قالها ، وانصرف فى خطوات سريعة ، فغمغمت (منى) فى توتر :

ــ من أين حصل على كل هذه المعلومات ؟!

وغمغم (قدرى) :

ــ هذا الرجل يشعرنى بالخوف .

قال (أدهم) فى حزم :

ــ ويشعرنى أنا بالغضب .

فى نفس اللحظة التى نطقها ، كان المحامى الأمريكى يغادر ذلك المطعم الفاخر ، وهـــو يجـــرى اتصاله بموكله ، قائلاً فى غضب واضح :

ــ الأسلوب الأوّل لم يؤت ثماره ، كما توقّعت تمامًا يا سيدى البارون ، وأظن أنه من الضرورى أن ننتقل إلى المرحلة التالية .

أتاه صوت هادئ واثق ، يقول عبر الهاتف :

ــ خطأ يا (توبلكس) .. لقد كنت أعلم مسبقًا أن رجلاً مثله لن يقبل بهذا الأسلوب ، ولكن المعلومات التى فاجأته بها ، ستثير فضوله وقلقه ، وستدفعه دفعًا إلينا ، وعندئذ ... سينقلنا هو إلى المرحلة التالية .

قالها وأطلق ضحكة قوية ساخرة ...

ضحكة جمعت بين الثقة ، والاستمتاع ، و ...

والوحشية ...

بلا حدود .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

3 ـ نيـويـــورك ...

« هذا ليس منطقيًا !... »

نطقت (منى) العبارة فى توتر ، وهى تراقب (أدهم) ، أثناء إعداده حقيبته ، ثم استطردت فى عصبية :

ــ كلانا يعلم أنهم أرادوا استفزازك؛ لتذهب إليهم .

أجابها ، دون أن يلتفت إليها :

ــ ليس لدىَّ أدنى شك فى هذا .

هتفت محنقة :

ــ لماذا إذن ؟!

اعتدل ، والتفت إليها ، قائلاً فى حزم :

ــ لكى أعرف.

هتفت :

ــ تعرف ماذا ؟!

أمسك يدها فى رفق ، وقادها إلى أريكة جانبية ، جلسا عليها معًا ، وهو يقول فى هدوء :

ــ تلك الجهة ، أيًا كانت ، تمتلك معلومات عنا ، يفترض أن تكون سرية ، وجهة كهذه تستحق أن يسعى المرء ؛ لكشف حقيقة هويتها ...أنا أعلم جيدًا أنهم يترقبون وصولى إلى هناك ، ولكن هذا ليس نقطة لصالحهم ، مادمت أعلم هذا ، بل على العكس ، سأحاول استغلالها ؛ للتوصل إليهم ، من خلال لعبتهم نفسها .

غمغمت فى توتر :

ــ لن يكون هذا سهلاً .

ابتسم ، قائلاً :

ــ ومتى كان عملنا سهلاً ؟!

صمتت لحظات ، وهى تتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، قبل أن تقول فى حزم :

ــ فليكن ... سأنضم إليك ، فى رحلتك هذه .

هزَّ رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يجيب ، فى حزم أكبر :

Looloo
www.looloo.com

ــ كلا ... سأفقد بهذا خط الدفاع الثانى ، إذا ما تأزمت الأمور .

هتفت معترضة :

ــ ولكن ...

مس شفتيها بأنامله فى رفق ، وهو يقاطعها فى حزم :

ــ لا يوجد لكن ... هذا أمر أيتها المقدّم .

شعورها بلمس أنامله على شفتيها ألجمت لسانها ، وجعلت قلبها يخفق فى عنف ، وهمّت بقول شىء ما ، لولا أن دخل (قدرى) إلى الحجرة ، فى اللحظة ذاتها ، وهو يقول :

ــ ألا تتناول الطعام هنا أبدًا ؟!... برّادك خال تقريبًا .

التفت إليه (أدهم) مبتسمًا :

ــ هناك أكثر من عشرة مطاعم للوجبات الجاهزة حولنا ... يمكنك أن تطلب ما تشاء .

قلب (قدرى) شفتيه ، وهو يقول :

ــ تلك الوجبات السريعة لا تناسبنى .

ثم ناول (أدهم) حقيبة صغيرة ، وهو يستطرد :

ــ المهم أننى قد أنهيت كل ما طلبته .

نقلت (منى) بصرها بينهما ، وهى تقول فى لهفة :

ــ هل ستسافر متنكرًا ؟!

نهض (أدهم) يدس الحقيبة الصغيرة فى حقيبته ، وهو يجيب فى هدوء :

ــ كيف سيرصدوننى عندما أصل إذن ؟!

وتضاعف توتر (منى) :

ألف مرة ...

* * *

لم يكد (ميل توبلكس) يصل إلى مطار (نيويورك) ، حتى اتجه مباشرة إلى سيارة شديدة الفخامة ، تنتظره أمام المطار مباشرة ، على الرغم من أن القوانين الأمريكية تمنع هذا(*)، ولم يكد يستقر داخلها ، حتى انطلقت على الفور ، وسائقها يقول فى صوت خشن ، بدا كأنه صوته التقليدى :

ــ البارون سيجرى اتصاله بك فورًا .

(*) حقيقـــة

Looloo
www.dvd4arab.com

قالها ، وضغط زرًا فى تابلوه السيارة ، فارتفع حاجز عازل للصوت ، يفصله عن (توبلكس) ، الذى ضغط بدوره زرًا أمامه ، فأضيئت شاشة صغيرة فى مواجهته ، ظهر عليها وجه البارون ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أخبرنى آخر ما لديك .

تنحنح (توبلكس) ، قبل أن يقول :

ــ لم يستجد أى جديد ، حتى صعودى إلى الطائرة ، ولكن العيون التى تركتها خلفى ، أخبرتنى أن الثلاثة قد التقوا ، فى منزل (أدهم) هذا ، كما أن أحد متسللى الكمبيوتر ، الذين يعملون لحسابنا ، أكَّد أنه قد حجز تذكرة بالدرجة الأولى ، فى طائرة الثامنة صـــباحًا ، أى أنه مـــن المفترض أنه قد استقلها الآن ، وسيكون فى طريقه إلى هنا .

سأله البارون بنفس الصرامة :

ــ وحده ؟!

أومأ (توبلكس) برأسه إيجابًا ، قبل أن يغمغم :

ــ نعم ... وحده ... حسب ما لدىَّ من معلومات .

صمت البارون طويلاً هذه المرة ، وبدت على ملامحه علامات التفكير العميق ، فلاذ (توبلكس) بالصمت بدوره ، دون أن يجرؤ على مقاطعته بحرف واحد ، حتى اعتدل البارون فجأة ، وبدا جزلاً ، وهو يقول :

ــ لقد أدركت ما يستهدفه هذا الثعلب المصرى ... ملفه يقول : إنه من الذكاء ، بحيث سيدرك على الفور أننا نحاول جذبه إلى هنا ، باستفزازه على النحو الذى فعلته ، وسيدرك أكثر أننا سنكون فى انتظار وصوله هنا .

غمغم (توبلكس) فى حذر :

ــ هذا أمر طبيعى .

تراجع البارون فى مقعده ، وهو يقول فى ثقة :

ــ ولهذا لن نفعله .

انعقد حاجبا (توبلكس) ، فى تساؤل حائر ، فأكمل البارون بنفس الجزل :

ــ سنتركه يصل فى سلام ، ولن نضع أحدًا لرصده أو تعقُّبه ، مادمنا سنعرف أين سيقيم .

Looloo
www.dvd4arab.com

بدا (توبلكس) شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ وماذا لو استقر فى أحد البيوت الآمنة ، التابعة لجهاز مخابراته؟!...عندئذ قد نفقد أثره تمامًا .

أجابه البارون فى حزم :

ـ لن نفقد أثره أبدًا ؛ لأنه هو سيسعى للبحث عنا ، وهذا هو السبب الذى أتى به إلى هنـــا ، وسيربكه حتمًا ألا نحاول رصده أو تعقُّبه ، بعدما أدرك كم المعلومات السرية ، التى لدينا ...

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ اطمئن يا (ميل) ... البارون يفوز دومًا فى النهاية ... اطمئن .

قالها ، وأطلق ضحكة ظافرة واثقة ، وصورته على الشاشة تتلاشى ...

وتتلاشى ...

وتتلاشى ...

* * *

تلبدت سماء (نيويورك) بالسحب ، فى ذلك اليوم ، وبدت على وشك أن تمطر ، عندما غادر (أدهم) مبنى المطار ، وهو يحمل حقيبته الواحدة الصغيرة ، التى لا تفارق يده أبدًا ...

كان بالفعل يتوقَّع شيئًا من الرصد أو المراقبة ، إلا أنه تحرَّك على نحو طبيعى ، واستقل أوَّل سيارة أجرة أمامه ؛ لينطلق بها نحو فندق (أمبريال) ، فى قلب (مانهاتن)(*)

كان قد اختار فندقًا معروفًا ، قريبًا من (سنترال بارك) ، المتنزَّه الأكبر فى المدينة ، والذى يتوسط شوارعها تقريبًا ، وتعمَّد أن يخبـــر السائق عـــن وجهته بصوت مرتفع ، قبل أن يستقل السيارة ، وعلى الرغم من هذا ، فكل خبراته أنبأته بأنه لا يوجد من يرصده أو يتعقَّبه ..

ولقد أدهشه هذا فى الواقع ...

ثم دفعه إلى تفكير عميق ...

كانت أبرز صفاته هى أنه لا يتوقف قط عند نقطة بعينها ، وإنما يعيد دومًا منهجة العملية كلها ، وفقًا لأية تطوُّرات مفاجئة ...

(*) (مانهاتن) أكبر وأرقى مناطق (نيويورك) ، وفيها مقر القيادة ، ومركز الشرطة الرئيسى ، وشارع (برودواى) أشهر الشوارع الليلية فى العالم ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولم تكن هذه مهمة رسمية بالفعل ...

ولكن هذا لم يكن ليصنع فارقًا ...

فالأسلوب هو الأسلوب ...

والرجل هو الرجل ..

وعندما وصلت السيارة إلى الفندق ، كان قد حلل ما حدث ، واستخلص منه بعض النتائج الأساسية...

لقد توقَّعوا ما سيفعله ، واستنتجوا خطته ، فى استغلال من سيتعقَّبه ، للوصول إليهم ...

ولهذا لم يرسلوا خلفه أحدًا ...

استقر فى حجرته ، المطلة على المتنزَّه ، وهو يواصل التفكير فى الأمر ..

إنها لعبة صبر إذن ...

من سيبدأ الخطوة الأولى ؟!...

وكيف ؟!..

هكذا ستدور اللعبة ....

لعبة البارون ...

الأحمر ...

* * *

« لم يحاول شيئًا ، حتى هذه اللحظة ... » ..

نطق (توبلكس) العبارة فى توتر شديد ، وهو يتطلَّع إلى شاشة كبيرة فى مكتبه الفاخر ، فى الجادة الخامسة ، أرقى مناطق (مانهاتن) ، حيث ملأها وجه البارون ، الذى حافظ على ابتسامته الواثقة ، وهو يقول :

ــ إنه ثعلب مصرى بحق ... لقد فهم اللعبة ، وقرر أن يعبث بنا ، كما نعبث به .

فغمغم (توبلكس) فى حذر :

ــ يمكننا أن نعمد إلى استفزازه ، حتى يخرج عن صمته .

أجابه البارون بكل الصرامة :

ــ كــلا .

ثم صمت لحظات ، قبل أن يسأله :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ إنه لا يبقى طوال الوقت فى فندقه ... أليس كذلك ؟!

أجابه (توبلكس) فى سرعة :

ــ كلا ... لقد زار مؤسسته يومًا واحدًا ، راجع خلاله كل ما يتعلّق بالعمل ، وعقد اجتماعًا مع المديرين التنفيذيين ، ثم يقضى ما تبقى من الوقت فى جولات سياحية فى المدينة ، كأى سائح عادى ، و ...

قاطعه البارون ، متسائلاً :

ــ ماذا زار بالضبط ؟!

أجابه (توبلكس) بنفس السرعة :

ــ تجول فى (سنترال بارك) ، وزار بناية (إمباير ستايت) ، ثم ...

قاطعه البارون بصيحة غاضبة هادرة :

ــ غبى .

ارتفع حاجبا (توبلكس) فى شدة ، وهـــو يكرر الكلمة فى دهشة مستنكرة خائفة :

ــ غبى ؟!

صاح فيه البارون ، فى غضب هادر :

ــ نعم ... غبى ... التفاصيل التى ذكرتها ، تعنى أنك قد تجاهلت أوامرى الصريحة ، وأرسلت من يراقبه ويتتبعه .

ارتبك (توبلكس) بشدة ، وكاد يسقط فاقد الوعى ، وهو يتمتم بصوت مرتجف :

ــ لقد خشيت أن ...

عاد البارون يقاطعه ، بصرخة أشد غضبًا :

ــ غبى... غبى ... غبى ... ألا تدرك ما فعلته؟!...لقد قلبت الكفة لصالحه ، وبدلاً من أن نمسك نحن بزمام الأمور ، صار بإمكانه أن يمسك هو بها .

اندفع (توبلكس) يقول مرتجفًا ، محاولاً تبرئة نفسه :

ــ لقد أرسلت رجلين محترفين ، كانا يعمـــلان سابقًا ، فى المخـــابرات الأمريكيـــة ، وتلقيا تدريبات مكثفة ، حول سبل المراقبة و التتبُّع ، و ...

قاطعه البارون مرة أخرى ، فى غضب هادر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وهل تصورت أن خصمنا فتى كشّافة ؟!... إذا كانا من المحترفين ، فهو ملك المحترفين ، كما يقول ملفه ، وتاريخه لا يحوى هزيمة رجال مخابرات فحسب ، ولكن نظم مخابرات بأكملها ، وتنظيمات إجرامية او تجسسية ، عجزت عن هزيمتها دول كبرى ...

ارتبك (توبلكس) بشدة ، وهو يغمغم :

ــ ولكنه مجرّد رجل واحد ...

صرخ البارون :

ــ ليس رجلاً عاديًا .. أتدرك بم يلقبونه ، فى عالم المخابرات ؟!.. رجل المستحيل ... هذا لأنه وحده ، قادر على فعل ما تعتبره أنظمة كاملة فى عداد المستحيل .

حاول (توبلكس) بائسًا الدفاع عن نفسه ، وهو يغمغم :

ــ ولكن ...

انتفض جسده فى عنف ورعب ، عندما أتت مقاطعته من خلفه هذه المرة ، بصوت يقول فى هدوء :

ــ إنه على حق .

استدار بكل رعب الدنيا ، يحدّق فى الرجل الذى وقف هادئًا مسترخيًا ، مستندًا إلى إطـــار باب الحجـــرة ، وعيناه معلّقتان بالشاشة الكبيرة ، وهو يكمل فى اهتمام :

ــ إذن فهذا هو البارون الأحمر .

وانعقد حاجبا البارون فى شدة على الشاشة ...

فلقد كان هذا الرجل هو (أدهم) ...

(أدهم صبرى) ...

شخصيًا .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

4 ـ لقـــاء ...

بدت (منى) شديدة العصبية ، وهى تعد حقيبتها ، على نحو جعل (قدرى) يغمغم فى حذر :

ـ لن يروق هذا لـ (أدهم) .

أجابته فى عصبية :

ـ أعلم هذا .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وتطلَّع إليها فى صمت بضع لحظات ، ثم قرَّر تجاوز الأمر كله ، وهو يربِّت على معدته ، مغمغمًا :

ـ أتعشَّم أن نجد مطعمًا شرقيًّا فى (نيويورك) .

أغلقت حقيبتها ، وهى تقول فى عصبية أكثر :

ـ وأنا أتعشَّم أن نجد (أدهم) ، عندما نصل إلى هناك .

ارتفع حاجباه فى دهشة أكبر هذه المرة ، والتفت إليها بجسده كله ، وهو يقول :

ـ ألا تثقين فى قدرته على معالجة الأمر ؟!

قالت فى حدة :

ـ (أدهم) يمكنه معالجة أى أمر .

وبذلت جهدًا خرافيًّا ؛ لتمنع دمعة حارة من الانسكاب على وجنتها ، وهى تكمل :

ـ ولكن ملف مؤسسة (البارون الأحمر) لدينا ، يشير إلى أنها لن تكون مواجهة عادية أبدًا .

قال فى حيرة مترددة :

ـ لقد واجه (أدهم) أجهزة مخابرات كاملة من قبل .

قالت فى حدة شديدة ، وهى تحمل الحقيبة :

ـ وواجه الموت ألف مرة أيضًا .

حمل حقيبته بدوره ، وهو يغمغم :

ـ ونجا منه .

اندفعت نحو الباب ، قائلة :

ـ ليس فى كل مرة تسلم الجرَّة .

لحق بها وهو يلهث ، مع وزنه الضخم ، ويهتف من وسط لهاثه :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ولكنه طلب منا أن ...

قاطعته بكل عصبيتها :

ــ هل تأكّدت من وجود جواز سفرك وتذكرة الطائرة ؟!...

غمغم ، وهو يتحسَّس جيبه :

ــ نعم ، ولكننى مُصرٌ على أن (أدهم) قد ...

قاطعته مرة أخرى ، فى حسم عصبى :

ــ هيا بنا إذن .

أدرك أنها تطلب منه إغلاق شفتيه ، ولكن كل هذا الكم من الإثارة أورثه شعورًا بالجوع ...

الجوع الشديد ...

جدًا ...

* * *

مرَّت لحظات من الصمت ، و(أدهم) يرتكن إلى حاجز الباب فى هدوء ، متطلعًا إلى البارون فى تحدٍ واضح ، بادله إياه هذا

الأخير ، فى حين راح المحامى (توبلكس) ينقل نظره بينهما فى توتر ، قبل أن يقول البارون فى بطء ، غلب عليه البرود :

ــ أعترف أنك قد فزت بهذه الجولة يا سيد (أدهم) .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لا مبالاة ، وقال فى هدوء :

ــ كان هذا بفضل حماقة محاميك أيها البارون؛ فبعد أن حطمت أنف ذلك الأبله ، الذى أرسله خلفى ، صار مستعدًا للبوح بكل أسرار حياته ، حتى لا يتلقى لكمة أخرى .

انكمش (توبلكس) فى مقعده ، على نحو يدعو للشفقة ، فى حين بدا من الواضح أن البارون يبذل جهدًا خرافيًا ؛ للسيطرة على غضبه ، وهو يقول فى بطء :

ــ أنت على حق .

ابتسم (أدهم) ابتسامة مستفزة ، وهو يقول :

ــ ولكن من حسن الحظ أن جعلنا هذا نلتقى .

غمغم البارون ، عاجزًا عن كتمان غضبه :

ــ بل قل من سوء التخطيط .

Looloo
www.dvd4arab.com

انتفض (توبلكس) فى مقعده ، ثم هب يهتف فى عصبية :

ــ سيد (أدهم) ... أنت تقتحم ملكية خاصة بلا دعوة ، وهذا يمنحنى الحق فى إبلاغ الشرطة ، وفى استخدام القوة؛ لإخراجك من هنا .

هزَّ (أدهم) كتفيه مرة أخرى ، وقال دون أن يفقد هدوءه :

ــ لو أنك تشير إلى الدبين ، اللّذين وضعتهما لحراستك ، فالأفضل أن تبلغ الإسعاف لا الشرطة .

احتقن وجه المحامى بشدة ، وهو يغمغم :

ــ هل تقصد أنك ...

قاطعه البارون فى صرامة :

ــ اصمت يا (توبلكس) .

عاد المحامى ينكمش فى مقعده ، وهو يتمتم :

ــ سيدى البارون ... لقد كنت فقط ...

قاطعه (أدهم) هذه المرة :

ــ ألم يخبرك أن تصمت ؟!..

ازداد احتقان وجه المحامى ، وازداد انكماشه فى مقعده ، فى حين قال البارون فى صرامة :

ــ فليكن ... لقد أثبت براعتك وقوتك يا سيد (أدهم) ، والآن دعنا ننتقل إلى الناحية العملية .

قال (أدهم) فى هدوء :

ــ كلى آذان مصغية .

شد البارون قامته ، وقال بنفس الصرامة ، عبر الشاشة الكبيرة :

ــ إننى أقدّم لك عرضًا لشراء مزرعتك فى (المكسيك) ، مقابل مائة مليون دولار .

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

ــ هذا يدهشنى فى الواقع أيها البارون؛ فلقد عرضت فكرة بيع المزرعة ، منذ عدة أشهر ، وأكبر عرض تلقيته فى هذا الشأن ، كان يبلغ نصف هذا المبلغ فحسب ، ووفقًا لمعلوماتى ، لا يقدم أى شخص ، على دفع ضعف ثمن أى شىء ، إلا لو كان هناك مبرر لهذا .

Looloo
www.dvd4arab.com

قال البارون بمنتهى الصرامة :

ــ المبررات ليست من شأنك يا سيد (أدهم) ... اقبل العرض أو ارفضه .

اعتدل (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة مماثلة :

ــ أظننى قد رفضته من قبل .

سأله فى حدة :

ــ والمبررات .

حملت شفتا (أدهم) ابتسامة مستفزة ، وهو يقول :

ــ أظنك قد أجبت السؤال مسبقًا أيها البارون... المبررات ليست من شأنك .

مضت فترة من الصمت بينهما ، أثارت قلق المحامى ، قبل أن يميل البارون نحو الشاشة ، قائلاً فى شراسة عجيبة :

ــ عنـــدما يطلب البارون الأحمر أمرًا ، فهـــو يعرض مطلبه بسخاء ثم قست ملامحه فى شدة ، وهو يضيف :

ــ وهو فى الوقت ذاته ، لا يقبل بالرفض .

صمت (أدهم) لحظة ، قست خلالها ملامحه بدوره ، قبل أن يجيب :

ــ هناك مرة أولى لكل شىء ، وعلى البارون الأحمر إذن أن يقبل بالرفض هذه المرة ؛ لأنه ليس هناك من جواب سواه .

اعتدل البارون دفعة واحدة ، على نحو حاد ، وهو يقول :

ــ هل تعتقد هذا ؟!

ثم ضغط زرًا فى مقعده ، وهو يضيف فى حدة :

ــ ربما يتغير رأيك بعد قليل إذن .

تحفزت كل عضلة فى جسد (أدهم) ، مع ذلك الفعل الأخير ، وتصور أنه سيواجه هجومًا ما ، ولكن كل ما حدث هو أن صورة البارون قد اختفت من الشاشة ، فى حين غمغم المحامى ، وهو يعتدل فى مقعده :

ــ أيها الأحمق .

التفت إليه (أدهم) بنظرة صارمة ، ولكنه تابع فى عصبية :

ــ لقد أعماك غرورك عن رؤية الواقع ... البارون لا يمزح فى مثل هذه الأمور ، ولقد كان مستعدًا تمامًا للموقف .

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتف (أدهم) الخاص فجأة ، فالتقطه فى سرعة ، وأدهشه أن المتصل هو (بدرو) ، مدير مزرعته ، ولم يكد يجيب ، حتى سمع صوت هذا الأخير يصرخ :

ــ سنيور (صاندو) ... إننا نواجه هجومًا رهيبًا .. أنقذنا .. أرجوك .

سأله (أدهم) ، وقد انعقد حاجباه فى شدة :

ــ ماذا يحدث عندك بالضبط يا (بدرو) ؟!

ارتفع حاجبا المحامى فى دهشة ، مع الإسبانية المتقنة ، التى تحدث بها (أدهم) ، فى حين هتف (بدرو) ، فى رعب واضح :

ــ إنه أمر يعجز العقل عن تصوره يا سنيور ... إننا نواجه جيشًا كاملاً ... قوات مشاة ، ومدرعات ، وطائرات بقنابلها... أرجوك يا سنيور (صاندو) ... إننا ..

سمع (أدهم) دوى انفجار مكتوم ، عبر الهاتف ، قبل أن ينقطع الاتصال تمامًا ، فى حين أطلق المحامى ضحكة عصبية ، وهو يقول ، على نحو هستيرى :

ــ ألم أقل لك ... البارون لا يمزح أبدًا ، فى مثل هذه الأمور .

اندفع (أدهم) نحوه فجأة ، فتراجع الرجل فى ذعر ، صارخًا :

ــ ماذا ستفعل ؟!

ارتطم مع تراجعه بمقعده ، فسقط فوقه ثانية ، ولكنه فوجئ بقبضة (أدهم) تمسك سترته ، ثم ترفع جسده كله ، وهذا الأخير يسأله فى صرامة مخيفة ، وعيناه تخترقان كيانه كله :

ــ وما الـــذى يفعله أو لا يفعله البـــارون أيضًا ؟!...هيا ... أخبرنى ، قبل أن تلحق بحارسيك الغبيين .

صرخ (توبلكس) فى رعب هائل :

ــ لن يمكنك أن تربح المعركة بالقوة أيها المصرى ؛ فالبارون يعرف الآن أنك هنا .

مع قوله ، سمع (أدهم) صرير إطارات سيارات قوية ، تتوقف فى الخارج ، فى عنف واضح ، وأدرك أن البارون قد بدأ حربه بالفعل ...

وأنها لن تكون حربًا هينة ...

أبدًا ...

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

ارتجف جسد (بدرو) ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يرفع يده عاليًا ، أمام الرجال الثلاثة ، الذين يرتدون زيًا عسكريًا أحمر اللون ، لا يشبه أى زى عسكرى رآه من قبل ، والذين يصوبون إليه فوهات مدافعهم الآلية ، وراح يهتف ، فى لهجة متوسلة ، أقرب إلى البكاء :

ــ لا تقتلونى .. أرجوكم .. إننى أستسلم .. لن يقاوم أحدنا .. أقسم لكم .

ظهر رجل متين البنيان ، من خلف الرجال الثلاثة ، وتجاوزهم حاملاً مدفعًا آليًا عجيب الشـكل ، وقسمات وجهـه تحمل من القسوة ، ما يجعلك تتصور أنه ولد على هذا النحو ، واتجه نحو (بدرو) مباشرة ، وهو يقول فى قسوة تنافس ملامحه :

هـذه المزرعـة ، منذ هـذه اللحظة ، صارت ملكًا للبارون الأحمر ... هل تفهم هذا ؟!

ارتجف صوت (بدرو) ، وهو يقول :

ــ كل ما تقوله يا سيدى ... كل ما تقوله ... ولكن هذه المزرعة ليست ملكًا لى ... إنها ملك سنيور (أميجو صاندو) ، ولست أظنه يرضى بهذا ، و....

اشتعلت عينا الرجل بالغضب ، وخفض فوهة مدفعه العجيب نحو (بدرو) ، الذى استدرك فى سرعة :

ــ ولكن هذا شأنكم معه ، وليس معى .

ظلت عينا الرجل مشتعلتين بالغضب لحظات ، ثم لم يلبث أن أشار إلى رجاله ، قائلاً بنفس القسوة :

ــ ألقوهم جميعًا فى إسطبلات الخيل ، وأطلقوا النار بلا تردد ، على من يبدى أدنى مقاومة منهم ، أو يحاول الفرار بأى حال من الأحوال ، حتى يرى البارون رأيه بشأنهم .

أسرع الرجال يدفعون (بدرو) وباقى العاملين أمامهم فى قسوة ، فى حين أشعل الرجل سيجارًا ضخمًا كجسده ، وجلس خلف مكتب (بدرو) ، ورفع قدميه فوقه ، وهو يخرج هاتف أقمار صناعية خاصًا ، يستحيل تتبعه ، ويجرى اتصالاً ، لم يكد يتم ، حتى قال وهو ينفث دخان سيجاره :

ــ المكان كله تحت السيطرة أيها البارون .

آتاه صوت البارون ، يقول فى انتعاش :

ــ هل ارتفع العلم الأحمر على المزرعة ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه فى ثقة :

ــ الرجال يرفعونه الآن ، ويضعون اسمك عليها ، بدلاً من اسم ذلك المالك القديم ، الذى لم يقبل بالتسوية السلمية .

قال البارون عبر الهاتف فى امتعاض :

ــ عظيم ... سيدرك الآن أنه كان عليه أن يقبلها .

سأله الرجل فى اهتمام :

ــ ولكن ماذا عن الأوراق الرسمية ، والقانون ، وكل تلك الأمور السخيفة الأخرى ؟!

أجابه البارون فى حزم :

ــ لا تشغل بالك بهـذا يا (ألنـزو) ... أدّ دورك فحسب ، واترك كل التعقيدات الأخرى لجيش المحامين فى المؤسسة.

مط (ألنزو) شفتيه ، ونفث دخان سيجاره مرة أخرى ، وهو يسأل :

ــ وماذا عن المالك القديم ؟!... يقولون : إنه يمتلك مؤسسة كبيرة أيضًا .

أجابه البارون فى جَذَل :

ــ المهم الآن هو أن يمتك حياته ... فقط حياته .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية ...

طويلة ....

ورهيبة .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

5 ـ الرجـــــل ...

بمنتهى العنف ، اقتحم رجال البارون منزل المحامى الأمريكى ، وهم يشهرون أسلحتهم فى تحفز ، خاصة بعد ما رأوا ما أصاب حارسى (توبلكس) ، وبعد أن حذرهم البارون نفسه من مهارات (أدهم) وقدراته الفائقة ، وسعة حيلته ، فى مواجهة الأخطار ، كما أشار ملفه الضخم ، الذى يحتفظ بنسخة خاصة منه ...

ولقد نفذوا هجومهم باحترافية خاصة ، تشير إلى خبراتهم السابقة فى هذا المضمار ...

فريق منهم قاد عملية الهجوم ، فى حين انتشر فريقان آخران حول المنزل ، تحسبًا لأية محاولة فرار مبتكرة ...

الشىء الذى تشابهوا فيه جميعًا ، كان تحفزهم الشديد ، وذلك الزى الأحمر ، الذى جعلهم أشبه بشياطين ، انبعثت من قلب الظلام ؛ لتشن هجومها على الأرض ...

ولكن كانت فى انتظارهم جميعًا مفاجأة ...

لقد سيطروا على المكـــان بسرعة فعليًا ، وانتشروا فيه فى لحظات ، وأسلحتهم مشهورة متحفزة ، و...

ولم يكن (أدهم) هناك ...

لم يكن فى المكان سوى (توبلكس) نفسه ، الفاقد الوعى على مقعده ، والذى مازالت ملامحه تحمل مزيجًا عجيبًا ، من الذعر والألم ، على الرغم من غيبوبته ...

وفى بحث محموم ، جاب الرجال كل حجرات المنزل ، المكون من طابقين كبيرين ، وطابق ثالث صغير ، وبدروم واسع أسفله ..

جابوا المكان كله ، بكل تحفزهم ، وفتشوا كل ركن منه ...

كل ركن بلا استثناء ...

ولكنهم لم يجدوا (أدهم) ...

كان وكأنه قد تبخر تمامًا ، دون أن يترك خلفه أدنى أثر ...

ولم يكد البارون يسمع هذا من قائدهم ، حتى انتابه غضب شديد ، وهتف به فى ثورة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ماذا تعنى بالضبط ؟!...إنه هناك بلا شك ... لا يمكنه أن يغادر المكان ، فى هذا الوقت القصير !!... ابحثوا مرة أخرى .

أجابه قائد المجموعة فى توتر :

ــ لقد فعلنا مرتين يا سيدى ، ولم نعثر له على أدنى أثر .

هتف البارون فى حدة :

ــ مستحيل !

صمت الرجل مرتبكًا ، وصمت البارون نفسه لحظات ، ثم بدا صوته صارمًا ، أكثر منه غاضبًا ، وهو يسأل :

ــ أين (توبلكس) ؟!

أجابه الرجل بنفس توتره :

ــ إنه فاقد الوعى ، فى الطابق السفلى .

صمت البارون لحظات أخرى ، قبل أن يقول ، فى صرامة أكبر :

ــ أيقظوه ، وأشعلوا شاشة الاتصال فى البهو .

لم تمض دقيقتان ، حتى نفذ الرجل أوامره ، وبدا (توبلكس) مترنحًا ، وهو يهتف فى عصبية :

ــ أين هو ؟!.... أين ذهب ؟!... هل نلتم منه ؟!

أجابه الرجل فى خشونة ، متجاهلاً أسئلته :

ــ البارون هنا .

التفت (توبلكس) فى هلع إلى الشاشة الكبيرة ، التى ظهر عليها وجه البارون ، الذى سأله بكل صرامته :

ــ السؤال لك يا (توبلكس) ... أين هو ؟!

ارتبك (توبلكس) فى شدة ، وهو يجيب :

ــ ومن أدرانى يا سيدى البارون ؟!... لقد تلقيت منه لكمة عنيفة ، فور أن سمع مقدم رجالك ، فقدت معها الوعى ، ولم ...

قاطعه البارون فى صرامة :

ــ أقترب من الشاشة .

بدت الحيرة على وجه (توبلكس) ، وهو يغمغم :

ــ أقترب ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

كرر البارون ، فى شىء من الحدة :

ــ قلت : اقترب .

تقــدم (توبلكس) فى تردد من الشاشة ، حتى صار فى مواجهة آلة التصوير الصغيرة فى أعلاها ، وهو يغمغم :

ــ سيدى البارون ، لست أفهم ...

زمجر البارون فى شراسة ، وهو يصرخ :

ــ اقترب .

انتفض جسد (توبلكس) ، وهو يميل إلى الأمام ، حتى لم تعد تفصله عن آلة التصوير سوى سنتيمترات قليلة ...

لثوان ، صمت البارون تمامًا ، وبدا شديد الاهتمام للحظات ، ثم لم يلبث أن زمجر مرة أخرى ، قائلاً فى لهجة آمرة صارمة شرسة :

ــ انزعوا قناع هذا الزائف .

واندفع رجاله لينتزعوا قناع (توبلكس) ...

وبمنتهى الوحشية ...

* * *

احتشد رجال مزرعــة (صاندو) فى اسطبل الخيل الكبير ، يرتجفون من تلك المدافع الآلية ، المصوبة إليهم ، وقد أفزعهم ذلك الزى الأحمر العجيب ، الذى لا يتناسب مع شراسة وغلظة وقسوة من يرتدونه ، فى حين رفع (ألنزو) فوهة مدفعه ، وراح يتجوَّل بينهم فى بطء ، وبين شفتيه سيجار كوبى فاخر ، ينفث دخانه من جانب فمه ، وهو يتابعهم ببصره فى بطء لا يدعو إلى الارتياح ، ثم لم يلبث أن توقف فجأة ، وأشار إلى أحدهم ، قائلاً فى حدة :

ــ أنت .

ارتجف الرجل وهو يغمغم فزعًا :

ــ أنا يا سنيور ؟!

اندفع (ألنزو) نحوه ، وجذبه من سترته فى وحشية ، ودفعه أمامه فى قسوة ، وهو يقول :

ــ عندما ألقى سؤالاً ، فأنا أبغض سماع صداه .

دفع الرجل فى عنف ، حتى ارتطم بجدار الإسطبل ، وسقط على وجهه ، فقال فى وحشية عجيبة :

ــ انهض .

Looloo
www.dvd4arab.com

نهض الرجل مرتجفًا ، يتطلَّع إليه فى رعب ، فالتفت (ألنزو) إلى الباقين ، وقال بنفس الوحشية :

ــ كلكم الآن تتساءلون : لماذا هذا الرجل ؟!... وماذا فعل ؟!... والجواب ، وبكل بساطة ، أنه لم يفعل شيئًا ... لقد كان مثلكم خائفًا مذعورًا .

وعاد يلتفت إلى الرجل ، وهو يضيف :

ــ تذكَّروا هذا جيدًا ... إنه لم يفعل شيئاً.

خفض فوهة مدفعه الآلى ، ليصوِّبها نحو الرجل ، الذى صرخ فى رعب :

ــ سنيور ... إننى ...

قاطعه (ألنزو) بسيل من رصاصات مدفعه ، اخترق جسد المسكين فى مواضع شتى ، فجحظت عيناه من الرعب والألم ، فى حين تعالت صرخات الآخرين ، وصهلت الخيول فى هياج ، وسالت دماء الرجل ، الذى سقط على أرضية الإسطبل جثة هامدة ، وزادت رائحتها من هياج الخيول ، ولكن (ألنزو) لم يبال بهذا ، وهو يلتفت إلى الرجال ، صارخًا فى صرامة :

ــ الصمت .

بدا كأن صرخته موجهة للجميع ، حتى الخيول ، التى خفت صوتها دفعة واحدة ، وراحت تضرب الأرض بقوائمها فى عصبية ، وتطلق أصواتًا أشبه بالاعتراض ، فى حين بدا هو أكثر وحشية ، وهو يقول :

ــ هذا الرجل قتل وهو لم يفعل شيئًا ، فماذا عمن يحاول فعل أى شىء ؟!

شحبت وجوه الجميع ، وانكمشوا فى أماكنهم ، وخاصة مع ضحكات رجال (ألنزو) ، الذين لم يكونوا أشبه بشياطين الجحيم ، مثلما كانوا فى هذه اللحظة ...

أما هو ، فقد راح يسير فى المكان فى زهو ، قائلاً :

ــ من عادتى أن أوجه التحذير مرة واحدة ، وفى الثانية ، أسقط الأمر كله خلف ظهرى .

وقست عيناه مع صوته ، وهو يضيف :

ــ وأقتل الجميع ... بلا استثناء .

ازداد انكماشهم فى رعب ، وتألقت عيناه فى ظفر ، وهو يلتفت إلى رجاله ، قائلاً فى شراسة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل سمعتمونى جيدًا ؟!... عند أية بادرة للمقاومة ... اقتلوا الجميع .

ابتسم رجاله فى وحشية ، وكأنما يروق لهم هذا ، حتى إن (بدرو) تصور أنهم يتمنون أن تحدث أية مقاومة ، حتى يتمتعوا بقتل الجميع ، فى حين غادر (ألنزو) الإسطبل ، وهو واثق من أنه بهذا قد أحكم سيطرته على المكان ...

تمامًا ...

* * *

انطلقت صرخة رعب من (توبلكس) ، والرجال ينتزعون ذلك القناع عن وجهه ، وتراجع فى رعب ، أمام مدافعهم التى صوبوها إليه ، عندما هتف البارون فى عصبية :

ـ انتظروا ...

كانت مفاجأة حقيقية له ، أن ينتزع الرجال ذلك القناع ، الذى رآه فى وضـوح ، على وجـه (توبلكس) ، فيجـد وجـه (توبلكس) ، الذى يعرفه جيدًا ...

ولم يقـ

لقد درس ملف (أدهم) جيـدًا ، وأدرك أن لعبـة تبديل الشخصيات هى لعبته المفضلة ، وخاصة مع موهبته الفريدة فى انتحال الشخصيات ، وعبقريته فى تغيير نبرات صوته ، بحيث تحاكى شخصية من ينتحل هيئته ...

ولكنه لم يفهم لماذا حدث هذا ؟!...

لقد أفقد (أدهم) محاميه وعيه ، ثم ألصق على وجهه قناعًا مطاطيًا رقيقًا ، لا يخفى ملامحه الأصلية ، بحيث يبـدو كأنه ينتحل شخصية أخرى ..

فلماذا؟!...

لماذا؟!...

لماذا؟!...

عجز عقله مع توتره عن استيعاب الموقف كله ، وحاول أن يستعيد تاريخ (أدهم) ، من صفحات ملفه ، التى اختزنها فى عقله ، ولكنه لم يجد سابقة لهذا أبدًا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وزاد هذا من غضبه ...

ذلك المصرى يعبث به ، على نحو لم يتوقعه ...

بل هو يسخر منه ، ومن قوته ...

ولكن يبقى السؤال ...

أين ذهب ؟!...

أين ؟!...

أين ؟!...

« فليتم فحص وجوه الجميع ... » ...

ألقى الأمر فى توتر ملحوظ أدهش رجاله ، إلا أنهم نفذوا الأمر فى طاعة ، مما التهم منهم ثلاث عشرة دقيقة أخرى ، قبل أن يغمغم قائدهم فى حذر :

ـ الجميع تم فحصهم ، والنتيجة سلبية .

أجابه البارون فى شراسة :

ـ لم يتم فحص وجهك أنت .

غمغم الرجل فى دهشة :

ـ أنا ؟!

أجابه البارون فى صرامة :

ـ يجب أن تدرك أن الثعلب ، الذى تسعون خلفه ، واسع الحيلة ، إلى حد يستحيل تصوره ، ويمتلك من المهارات والقدرات ما أعجز نظمًا كاملة عن القضاء عليه ، والسبيل الوحيد لمواجهته ، هو ألا تترك احتمالاً واحدًا ، دون فحصه جيدًا .

لم يبد الارتياح على وجه الرجل ، إلا أنه أمر أحد رجاله بفحص وجهه ، فقام الرجل بعمله على أكمل وجه ، والبارون يراقبه عبر الشاشة الكبيرة ، قبل أن يقول :

ـ فليكن ... من المؤسف أن ذلك الثعلب المصرى قد ربح هذه الجولة أيضًا ، وترك خلفه لغزًا عجزنا عن تفسيره .

www.dvd4arab.com

صمت لحظات مفكرًا ، وقد احنقه أن يختفى (أدهم) هكذا ، إلا أن فكرة ما قفزت إلى رأسه ، فقال فى سرعة ، حملت معها كل توتره :

ــ هل فحصتم ممرات الهواء ؟!

كانت ممرات عبـــارة عـــن سلسلة مـــن الانابيب الواســـعة ، تدور حول المنزل كله ، وهى فى اتساعها تكفى لزحف رجل رشـــيق ..

ولم يكن الرجال قد فحصوها بالفعل ...

ولكنهم ، وبناءًا على أوامره ، انطلقوا يفحصونها كلها ، ثم أطلقوا فيها قاذفات اللهب ، المزوَّدة بها مدافعهم الحديثة ، وصرخ (توبلكس) فى يأس :

ــ سيدى البارون ... إنكم تدمرون منزلى .

زمجر البارون ، عبر الشاشة الكبيرة ، وهو يقول فى شراسة :

ــ اصمت .

أطبق (توبلكس) شفتيه مرغمًا ، وإن شعر بغضب شديد ، مما يفعلونه بمنزله ، ولكن البارون عاد يسأله فى حدة :

ــ ألديك أية منافذ سرية فى منزلك ؟!

هزَّ (توبلكس) رأسه نفيًا ، وغمغم فى قهر :

ــ كلا .

أدار البارون بصره فى البهو ، عبر آلة التصوير فى الشاشة ، ثم قال لقائد رجاله :

ــ أشعلوا النار فى المدفأة .

أشعل الرجل النار كما أمر ، ثم التفت إليه ، ينتظر أوامر أخرى ، ولكن البارون ، قال فى حدة :

ــ مهما بلغت مهارته ، فهو لم يتلاش حتمًا .

وقف الرجال حائرين ، لا يدرون ماذا يفعلون ، بعد أن فحصوا كل شبر من المكان أكثر من مرة ، ونفذوا كل أوامره ، وأوشكت الشمس على الشروق ، وتلك الأزياء العسكرية ، ذات اللون

www.dvd4arab.com

الأحمر الزاهى ، والتى يصر البارون على اختيارها لرجاله ، ستلفت إليهم الأنظار حتمًا ، فى وضح النهار ...

ولقد صمت البارون طويلاً ، محاولاً هضم الأمر ...

أو بمعنى أدق ... هضم الهزيمة ...

كان رجلًا اعتاد القوة والسطوة ، ولم يكن من السهل عليه تقبُّل خسارة جولتين متتاليتين ، على هذا النحو المستفز ...

إلا أنه كان يدرك أنه من الذكاء وحسن الإدراك ، أن يتقبل المرء هزيمة مرحلية ، مادام يدرك أن معركته مع خصم ليس بالهين ، وستحتاج إلى صراع طويل ...

ولأنه لا يملك سوى هذا ، اعتدل البارون على عرشه الأحمر ، وقال لرجاله فى لهجة آمرة صارمة :

ــ فليكن ... انصرفوا جميعًا الآن ، واحضروا (توبلكس) إلى مكتبى ، مع اثنين من رجالنا المدنيين .

غمغم (توبلكس) فى عصبية :

ــ أظننى أحتاج إلى تبديل ثيابى أولًا .

قال البارون فى صرامة ، وقد لاحظ لأول مرة ، سروال (توبلكس) المبتل :

ــ أمامك خمس دقائق لا غير .

مط (توبلكس) شفتيه ، وغمغم فى ضيق ، وهو يتجه إلى سلم الطابق الثانى :

ــ سأحاول .

أطفأ البارون شاشة الاتصال من ناحيته ، ثم تراجع فى مقعده ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسأل نفسه ألف سؤال ...

من الواضح أن ذلك الملف لم يوف (أدهم صبرى) حقه ...

إنه خصم أوسع حيلة من ثعلب ماكر ...

وسيعنى هذا جولات طويلة من الصراع ، ما لم يجد وسيلة قوية لربح المعركة ...

ولكن ما هى تلك الوسيلة ؟!...

Looloo
www.dvd4arab.com

هل سينتظر أن يضرب (أدهم) ضربته القادمة أوّلاً ، أم يأخذ هو زمام المبادرة ؟!...

كانت عشرات الأسـئلة تعربد فى رأســه ، ولكنهــا انزاحت جميعًا ؛ ليبقى السؤال الأهم ...

أين اختفى (أدهــم) ، مــن منــزل محاصر بجيش من الرجال ؟!...

أين ؟!...

أين ؟!...

* * *

6 ـ أيـــن ؟!..

« هذا غير منطقى » ...

غمغم (قدرى) بالعبارة فى غضب ، وهو يجلس داخل طائرة (مصر) للطيران ، المتجهة إلى (نيويورك) ، فتمتمت (منى) ، دون أن تلتفت إليه :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابها فى حدة :

ـ الطعام هنا غير كاف ... هل يتوقعون أن أقضى إحدى عشرة ساعة فى الطائرة ، بوجبتى طعام فحسب ؟!

سألته ، وهى تغلق عينيها :

ـ ماذا تفعل فى شهر رمضان إذن ؟!

أجابها فى حدة :

ـ هذا أمر مختلف .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم استطرد فى حنق :

ــ ثم إن كمية الطعام فى كل وجبة ، لا تكفى طفلاً صغيرًا .

غمغمت :

ــ (قدرى) ... إنك ترهقنى باهتمامك المبالغ فيه بالطعام ... ألا يمكنك أن تنشغل بأمر آخر ؟!

سألها بنفس الحنق :

ــ مثل ماذا ؟!

التفتت إليه ، قائلة فى غضب :

ــ مصير (أدهم) مثلاً .

هزّ كتفيه المكتظين ، قائلاً :

ــ (أدهم) رجل ناضج ، يجيد رعاية شئونه بنفسه .

سألته فى غضب :

ــ ألم تقـرأ مثلى تلـك التقارير ، عـن النشاطات الخفية ، لمنظمة ذلك البارون الأحمر .

عاد يهزّ كتفيه ، قائلاً :

ــ وماذا فى هذا؟!... لقد واجه (أدهم) من هم أكثر خطورة منه ، ولم ينتصر عليه أحدهم .

أشاحت بوجهها عنه ، وهى تقول فى سخط :

ــ برودك هذا يستفزنى .

أجابها فى هدوء :

ــ ليس برودًا ، ولكنه ثقة ... إننى أعرف (أدهم) قبل أن تعرفيه ، وخضت معه معارك ، يشيب لهولها الولدان ، وأدرك جيدًا أنه قادر على مواجهة أى خصم ، مهما بلغت قوته .

قالت فى عصبية :

ــ ليس فى كل مرة تسلم الجرة ..

غمغم :

ــ وهل بيدنا الآن ما نفعله ؟!

قاله ، ثم استوقف مضيفة الطائرة ، متسائلاً فى توتر :

ــ معذرة ... ألا توجد فى مطعم الطائرة ، وجبة كافية لرجل مثلى .

Looloo
www.dvd4arab.com

ابتسمت المضيفة ، وهى تنظر إلى كرشه الضخم ، وقالت :

ــ سأرى ما يمكننى فعله .

هتف فى حماس أضحكها :

ــ أرجوك .

شعرت (منى) بالضيق ، من أسلوب (قدرى) ، على الرغم من اعتيادها إياه ، ولكنها لاذت بالصمت تمامًا ، وهى تتساءل فى أعماقها : ترى هل سيعبر (أدهم) هذه المواجهة الرهيبة بسلام ؟!...

هل ؟!...

* * *

عقد (توبلكس) حاجبيه فى حنق ، وهو يجلس داخل السيارة ، التى يقودها أحد رجال البارون ، بزيه الأحمر المستفز ، فسأله قائد الرجال ، الذى يجلس إلى جواره :

ــ هل أغضبك استدعاء البارون لك ؟!

أجابه فى سرعة :

ــ كلا .

ثم أضاف فى غضب :

ــ ولكن ما فعلتموه بمنزلى أثار جنونى .

بدا الرجل صارمًا ، وهو يقول :

ــ البارون سيعوضك عن كل هذا .

تمتم (توبلكس) بنفس الحنق :

ــ إنه يفعل دومًا .

قال الرجل ، مع لمحة من السخرية :

ــ ماذا إذن ؟!..

قال (توبلكس) فى حدة :

ــ هل يمكنك أن تهتم بشئونك وحدها ؟!

بدا الغضب واضحًا فى صوت الرجل ، وهو يقول :

ــ هذا أفضل .

لم يتبادل أحدهما مع الآخر حرفًا واحدًا ، حتى وصلا إلى مكتب البارون ، الذى يقع فى بناية ضخمة ، فى قلب (مانهاتن) ، وبقى الرجل فى السيارة ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ستهبط وحدك ، فهذا الزى الأحمر سيثير انتباه المنطقة كلها .

غادر (توبلكس) السيارة ، وهو يغمغم فى سخط :

ــ لا تقلق ... سيعوضك البارون عن هذا .

انعقد حاجبا الرجل فى غضب ، فى حين اتجه (توبلكس) مباشرة إلى البناية ، التى تعلوها لافتة كبيرة حمراء زاهية ، تحمل وسطها اسم البارون بالأبيض ، واستقبله حارس الأمن ، قائلاً فى احترام شديد :

ــ مستر (توبلكس) ... البارون ينتظرك فى مكتبه .

استسلم (توبلكس) لرجال الأمن ، الذين قاموا بتفتيشه جيدًا ، على الرغم من معرفتهم به ، ومرروه عبر بوابة إليكترونية لكشف المعادن والأسلحة ، وبعدها سمحوا له بالدخول ، وصحبه أحدهم إلى مصعد خاص ، واصطحبه حتى الطابق العلوى من البناية ، حيث مكتب البارون ، وأمامه غمغم :

ــ البارون سمح لك بالدخول .

دلـف (توبلكس) إلى مكتـب البـارون ، الذى أشـار إليه بالجلوس على مقعد بعيد ، وهو يقول فى غضب :

ــ حماقتك جعلتنا نخسر الكثير يا (توبلكس) .

غمغم (توبلكس) فى توتر :

ــ لم أكن أتصور ...

قاطعه البارون بضربة غاضبة من راحته ، على سطح مكتبه ، وهو يصرخ فيه :

ــ تتصور ؟!... ومن سمح لك أن تتصور ؟!...مهمتك ليست أن تضع الخطط والأساليب يا رجل ... البارون وحده يفعل هذا ، وعلى كل من يتبعه أن ينفذ أوامره فحسب ، ودون أية مناقشة أو تغيير .

بدت حيرة مرتبكة على وجه (توبلكس) ، وهو يقول :

ــ كيف يمكننى أن أعتذر ؟!

صرخ فيه البارون ، فى غضب أكثر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ تعتذر ؟!... عن أى شىء يمكن أن تعتذر أيها الأحمق ؟!... لقد خسرت بسببك أهم جولتين فى الصراع ... جولتى المواجهة ، اللتين إما أن يفقد الخصم ثقته واتزانه بعدهما ، أو يزداد قوة .

صمت (توبلكس) تمامًا ، دون أن يجيب ، فرمقه البارون بنظرة غاضبة ، استغرقت بضع لحظات ، ثم قال فى صرامة قاسية :

ــ لقد أمرت بتفتيش منزلك مرة أخرى .

رفع المحامى بصره إليه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ولماذا ؟!..

صاح به فى حدة :

ــ تسألنى لماذا ؟!... لأننا لم نعثر على خصمنا بعد يا هذا ... لقد كنا واثقين من أنه فى منزلك ، عندما حاصرناه فى إحكام ، وعلى الرغم من هذا ، فلم نعثر له على أثر ، بعد ساعات من تفتيش كل شبر.

سأله المحامى فى قلق :

ــ وماذا ستضيف مرة ثالثة ؟!

أجابه فى صرامة :

ــ الكثير .

وصمت لحظة ، ثم اضاف فى قسوة :

ــ ثم إنك تحتاج إلى منزل آخر ، أكثر تطورًا .

سأله (توبلكس) فى دهشة :

ــ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!.

مال البارون على مكتبه ، وقال :

ــ يعنى أننى سأبتاع منزلك هذا .

صمت لحظة ؛ ليرصد الحيرة على وجه (توبلكس) ، قبل أن يضيف بكل القسوة :

ــ وأحرقه .

اتسعت عينا (توبلكس) ، وهو يهتف مستنكرًا :

ــ تحرقه ؟!

أجاب البارون فى شراسة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ذلك المصرى لن يربح منى جولة ثالثة ، مهما كان الثمن ... إنه يختبئ فى مكان ما هناك ؛ فالمنزل محاصر بطاقم مدنى من رجالى ، ولم يرصده أحدهم يغادره بعد انصرافكم ... وهذا يعنى أنه مازال هناك ... وفى هذه اللحظة ، التى نتحدث فيها ، يقوم فريق آخر بإعادة تفتيش المنزل للمرة الأخيرة ، وتحطيم جدرانه ، وأى مكان فيه يصلح للاختباء ، فإن لم يعثروا عليه ، بعد كل هذا ، سيشعلون النار فى المنزل ، ويقتلون كل من يحاول مغادرته بعدها .

هتف المحامى ، فى دهشة مستنكرة :

ــ هكذا ؟!... فى وضح النهار ؟!

أجابه البارون ، مشيرًا بيده :

ــ لقد أحسنت اختيار منزلك ، فى ذلــك الحى الهادئ ، على أطراف المدينة ، وعندما يصل رجال الإطفاء ، وهذا يحتاج منهم فى المعتاد إلى اثنتى عشرة دقيقة ، تكون مهمة الرجال قد انتهت .

قال (توبلكس) فى عصبية :

ــ سيدى البارون ... أنت تعلم أن هذا المنزل ...

قاطعه البارون فى شراسة :

ــ يحوى الكثير من الذكريات العاطفية ، وكلفك بأثاثه ، ما يزيد على خمسة ملايين دولار ، ولهذا سأشتريه بعشرة ملايين .

قال المحامى ، فى عصبية أكثر :

ــ ليست مسألة نقود ، وإنما ...

قاطعه البارون فى وحشية :

ــ هذا أمر .

تراجع المحــامى فى مقعــده ، وبدت عليــه علامات الغضب والاستنكار ، فأضاف البارون ، بنفس الوحشية :

ــ أنت تعلم كيف أتعامل ، مع من لا يطيعون أوامرى .

غمغم المحامى فى استسلام :

ــ أعلم أيها البارون .

رمقه البارون بنظرة قاسية ، ثم قال فى صرامة :

ــ رجالى استولوا بالفعل على مزرعة (صاندو) .

LoCiBo
www.dvd4arab.com

هتف (توبلكس) مستنكرًا :

ــ استولوا عليها ؟!... ولكن هذا غير قانونى أبدًا .

زمجر البارون ، وهو يقول :

ــ ولهذا أحضرتك إلى هنا .

مط (توبلكس) شفتيه ، وقال :

ــ وبم يفيد محام فى عملية استيلاء ؟!

أجابه البارون فى خشونة :

ــ يقوم بعمله .

ثم استطرد فى لهجة آمرة قاسية :

ــ ستعد كل الأوراق اللازمة لعملية البيع ، فى انتظار توقيع ذلك المصرى عليها .

غمغم المحامى :

ــ قلت : إنك ستقتله .

مال البارون على مكتبه ، وهو يقول :

ــ ولكنه سيوقع الأوراق .

سأله فى حنق :

ــ كيف ؟!

ارتسمت ابتسامة واثقة على شفتى البارون ، وهو يقول :

ــ ستدهشك عبقريتى فى هذا الشأن .

تطلع إليـــه المحامى بضع لحظات ، محاولاً أن يستشف ما تعنيه العبارة ، قبل أن يغمغم :

ــ كنت أتمنى أن أعرف .

واستدرك فى سرعة :

ــ حتى أستعد للتصرفات القانونية على الأقل .

زمجر البارون مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ كل ما عليك هو أن تستعد .

صمت المحامى لحظة ، ثم تمتم :

ــ فليكن .

Looloo
www.dvd4arab.com

ارتفع رنين الهاتف الخاص للبارون ، فى هذه الحظة ، فالتقط سماعته ، وهو يقول فى ظفر :

ــ أتعشم أن يبلغونى بأمر عثورهم عليه .

رفع السماعة إلى أذنه ، وقال فى صرامة :

ــ هل فعلتموها ؟!...

انعقد حاجباه فى شدة ، واحتقن وجهه على نحو عجيب ، وهو يستمع إلى محدثه ، فاعتدل (توبلكس) على مقعده ، وقال فى سخرية ، لا تناسب شخصيته ، أو صوته المألوف :

ــ هل أخبروك أنهم قد عثروا على (توبلكس) ؟!

قبل حتى أن يرفع البارون عينيه إليه ، كان الرجل يثب وثبة مدهشة ، نقلته من منتصف الحجرة الكبيرة ، إلى مكتب البارون ، الذى سقطت سماعة الهاتف من يده ، فى حين التقطت يد الرجل فتاحة خطابات رفيعة ، ووضعها على عنقه مباشرة ، وهو يقول بنفس السخرية :

ــ هلا أعدت حديثك عن الجولة الثالثة .

وكاد قلب البارون يتوقف مع الصدمة ...

فالرجل الواقف إلى جواره ، ويضع أداة حادة على عنقه ، هو غريمه ، الذى كان يحلم بموته منذ لحظات ...

كان (أدهم) ...

(أدهم صبرى) ...

وبكل ذهول الدنيا ، غمغم بصوت مختنق :

ــ ولكن كيف ؟!

وكان هذا هو السؤال بالفعل ...

كيف ؟!

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

7ـ كيـــف ؟!

التقط (قدرى) نفسًا عميقًا ، من هواء (نيويورك) البارد ، وهو يقول فى حماس :

ــ أخيرًا وصلنا إلى أرض يمكن السير عليها ... لقد كدت أنسى المشى ، من طول جلوسنا .

غمغمت (منى) فى توتر :

ــ أنت فعلت بنفسك هذا ، من تناول ست وجبات طعام خلال الرحلة.

قال مستنكرًا :

ــ وهل تعدين تلك العينات ، التى قدموها لنا وجبة ؟!

أجابته ، وهى تتلفَّت حولها؛ بحثًا عن السيارة ، التى يفترض وجودها فى انتظارهما :

ــ لقد أشبعتنى على الأقل .

هتف مستنكرًا :

ــ لا تقارنى احتياجاتك باحتياجاتى يا عزيزتى ... انظرى إلى قوامك وقوامى .

حاولت أن تبتسم ، وهى تقول :

ــ بالنسبة لك ، يصعب استخدام مصطلح (قوام) هذا .

مط شفتيه لحظة ، ثم عاد يتساءل فى لهفة :

ــ أين تلك السيارة ؟!

قالت فى توتر :

ــ كان المفترض أن تنتظرنا هنا .

عادت تتلفت حولها ، قبل أن تتوقف أمامها سيارة كبيرة ، أطل سائقها من نافذتها ، متسائلاً :

ــ الأستاذة (منى) ، والسيد (قدرى) ؟!

حمل (قدرى) حقيبته ، وهو يتجه إليه ، قائلاً :

ــ أصبت الهدف يا رجل ... لماذا تأخرت ؟!

هبط السائق ليفتح حقيبة السيارة الخلفية ، ويعاون (منى) على نقل حقيبتها إليها ، وهو يجيب :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ إنه يوم الأحد ... أكثر أيام الأسبوع زحامًا ، فى الطرق السريعة .

سألته (منى) ، وهى تدلف إلى السيارة :

ــ هل توصلتم إلى مكانه ؟!

تردد السائق لحظة ، ثم أجاب :

ــ ليس بعد ... ولكننا نواصل المحاولة .

انعقد حاجبا (منى) ، دون أن تحاول التعليق ، فى حين سأله (قدرى) فى اهتمام :

ــ قل لى يا رجل .. هل سنمر بأية مطاعم كبيرة فى طريقنا .

ابتسم السائق ابتسامة هادئة ، وهو يجيب :

ــ بالتأكيد .

وانطلق بسيارته ...

* * *

أثبت رجال البارون ، دون أدنى شك ، أنهم يمتلكون جهازًا أمنيًّا قويًّا ، فلم يكد (أدهم) يثب نحوه ، وهو فى شخصية (توبلكس) ، حتى استوعبوا الموقف كله فى لحظة واحدة ،

واندفعوا بأسلحتهم ، داخل مكتب البارون الشخصى ، فى نفس اللحظة التى أحاط فيها (أدهم) عنق هذا الأخير بذراعه اليسرى ، ووضع فناحة الخطابات الحادة على عنقه بيمناه ...

والعجيب أن أيًّا منهما ، البارون أو (أدهم) ، لم يبال باقتحام الرجال الحجرة ، إذ تملك الذهول من البارون ، وهو يهتف :

ــ مستحيل !... ولكن كيف ؟!... لقد فحصت وجهك بنفسى فى منزل (توبلكس) ...

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ــ خطأ ... لقد فحصت وجه محاميك السخيف ، الذى أضفت إليه قناعًا مطاطيًّا رفيعًا ، يسهل كشفه .

هتف أحد رجال الأمن ، يقاطع الحديث فى شراسة :

ــ استَسلم يا رجل ، وإلا ...

لم يجد ضرورة لإتمام عبارته ، نشدد (أدهم) ضغط ذراعه ، على عنق البارون ، حتى احتقن وجه هذا الأخير ، و(أدهم) يقول :

ــ يبدو أن رجالك لم يدرسوا أبسط قواعد فن التفاوض ، وهو ألا تستخدم لغة التهديد ، مع خصم يسيطر على زعيمك .

Loolo
www.dvd4arab.com

قال البارون بصوت مختنق :

ــ دعك منهم ، وأخبرنى كيف ؟!.. كيف فعلتها ، ورجالى يراقبون المكان طوال الوقت ؟!... كيف ومتى استبدلت هويتك مع (توبلكس) ؟!... لقد فتش الرجال المنزل أكثر من مرة !!

هتف قائد الأمن ، مرة أخرى فى حدة :

ــ أمنحك دقيقة واحدة لتستسلم .

رفع (أدهم) عينيه إليه ، وقال فى سخرية :

ــ وعنق بارونك يحتاج إلى عشر ثوان فحسب ، ليتحول إلى عظام مهشمة .

ارتبك الرجل ، ولم يدر ماذا ينبغى أن يفعل ، وإن ظل يصوب مسدسه فى عصبية إلى (أدهم) ، فى حين قال البارون فى صعوبة :

ــ سيد (أدهم) ... إننى أختنق بالفعل .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لا مبالاة ، وقال فى حزم :

ــ وستختنق أكثر ، لو أصروا على البقاء هنا .

هتف البارون برجاله ، وقد اختنق صوته فى شدة :

ــ هل سمعتم أيها الأغبيـــاء ... هيا ... ماذا تنتظرون ...؟! انصرفوا من هنا .

تردد الرجـــال لحظات ، فصرخ ، وهو يكاد يفقد الوعى ، مع ضغط ذراع (أدهم) الفولاذية على عنقه :

ــ قلت : انصرفوا .

لم يكن أمام الرجال ، مع دقة الموقـــف ، سوى أن يغادروا المكان ، ويهرعون إلى شاشات المراقبة؛ لمتابعة الموقف ...

وفور انصرافهم ، خفف (أدهم) من ضغط ذراعه ، على عنق البارون ، الذى استعاد قدرته على التقاط أنفاسه فى ارتياح ، فقال فى شىء من الصرامة :

ــ سيد (أدهـــم) ... أليس من الأفضل أن نتعامل كرجلين محترمين .

أجابه (أدهم) ، فى صرامة أكثر :

ــ الرجال المحترمون لا يرسلون جيشًا ؛ لقتـــل من يتفاوضون

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه فى خشونة :

ــ أنت بدأت هذا ، عندما هاجمت محاميَّ الخاص فى منزله .

قال (أدهم) فى سخرية :

ــ حقًّا ؟!... أهكذا يرى عقلك المريض الأمور ؟!

احتقن وجه البارون ، وهو يقول فى حدة :

ــ عقلى ليس مريضًا أيها المصرى ... العالم كله ــ تقريبًا ــ اعترف بعبقرية هذا العقل ، الذى تصفه بالمرض .

قال (أدهم) بنفس السخرية :

ــ ربما لم ير العالم منك ما رأيته أنا .

كظم البارون غيظه فى صعوبة ، وهو يقول :

ــ اسمع يا سيد (أدهم) ... موضعك لا يسمح لى برؤيتك ، وأنا لا أشعر بالارتياح ، عندما أناقش شخصًا ، لا يمكننى رؤيته ... ألا يمكنك أن تقف أمامى ؟!

مس (أدهم) عنقـــه أكثر ، بفتَّاحة الخطابات الحادة ، وهو يقول :

ــ ولكن هذا الموضع يشعرنى بارتياح أكبر .

أشار البارون إلى درج جانبى فى مكتبه ، وهو يقول فى عصبية :

ــ افتح هـــذا الدرج ، وستجد مسدسًا محشوًّا ، احتفظ به للطوارئ ... خذه ، وتأكد من صلاحيته للعمل ، ثم اجلس أمامى ، وصوبه نحو رأسى ، وأنا أعلم من ملفك أنك لا تخطئ إصابة هدفك أبدًا .

فتح (أدهم) درج المكتب ، والتقط منه مسدسًا من الذهب الخالص ، له مقبض أحمر اللون على نحو مزعج ، واستخدم يديه فى براعة ، ليتأكد من أن خزانته محشوة بالرصاصات ، ثم غمغم :

ــ يبدو لى عرضًا جيدًا .

أفلت عنق البارون ، ودار ليجلس على مقعد أمام مكتبه مباشرة ، وهو يصوب إليه مسدسه ، فتحسس البارون عنقه ، وهو يقول :

ــ هذا أفضل بالتأكيد .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم مال نحو (أدهم) ، قائلاً :

ــ ترى كيف تخطط للخروج من هنا ، وأنت تعلم أن أطقم الحراسة ، فى المبنى كله ، شديدة التحفـز بشأنك ، وأنهم يراقبوننا الآن ، عبر شاشات الأمن ، المنتشرة فى الحجرة ؟!

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ــ لا تقلق نفسك بهذا الشأن .

ضم البارون شفتيه فى غيظ ، ولكنه واصل بذل الجهد؛ للحفاظ على أعصابه ، وهو يقول :

ــ فليكن ... سنطرح هذا السؤال جانبًا ، ولكن سيبقى سؤال ، لن أحتمل عدم الإجابة عنه طويلاً .

سأله (أدهم) فى لا مبالاة :

ــ وهو ؟!

مال نحوه بشدة ، وحمل صوته كل انفعالاته ، وهو يسأله :

ــ كيـف فعلتهـا ؟!... كيـف أمكنـك أن تختفى فى منـزل (توبلكس) ، وتنتحل هيئتة ، على الرغم من كل ما فعله فريقى هناك ؟!..

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال ، فى شىء من السخرية :

ــ من أهم الأمور فى عالمنا ، ألا تكشف أسلوبك أبدًا للعدو .

هتف البارون محنقًا :

ــ سيد (أدهم) .... لن يمكننى الاحتمال .

صمت (أدهم) لحظة أخرى ، ثم قال فى هدوء :

ــ لقد كان أمرًا بسيطًا ... أبسط مما تتصور بكثير .

قالها ، وذاكرته تعود إلى تلك الفترة القريبة ...

القريبة جدًا ...

* * *

ارتفع صوت سيارات رجال البارون ، وهى تتوقف حول منزل (توبلكس) ، وهتف هذا الأخير فى تشفٍ :

ــ أرأيت ؟!

عاجله (أدهم) بلكمة قوية فى فكه ، وهو يقول :

ــ ليس بعد .

Looloo
www.dvd4arab.com

اتسعت عينا المحامى مع اللكمة ، ودار رأسه فى عنف ، ثم سقط فاقد الوعى ، على مقعده الوثير.

وفى سرعة مدهشة ، تحرك (أدهم) ...

كان كعادته ، قد استعد لكل الاحتمالات مسبقًا ، فأخرج من جيبه قناعًا بسيطًا شفافًا ، ألصقه على وجـــه (توبلكس) ، متجاهلاً وقع الأقدام ، التى تقترب منه فى سرعة ، وبعدها اتجه نحو المدفأة ، وعبر فتحتها الكبيرة ، ثم راح يتسلقها من الداخل ، مستخدمًا ضغط ذراعيه وساقيه ...

لم يكن صعود المدفأة من الداخل يسيرًا ، إلا أنه بذل جهدًا جبارًا ، وهو يواصل تسلقها ، حتى بلغ سطح المنزل ...

ولأنه استعد لمثل هذا الأمر ، كان يرتدى حلة سوداء ، مع قميص من اللون نفسه ، عندما ذهب ليفاجئ المحامى فى منزله ..

ومع زيه ، الذى أخفاه وسط الظلام ، غادر المدفأة فى خفة ، ثم رقد على سطح المنزل المائل ، وألصق جسده به بقوة ...

وعبر المدفأة ، استمع إلى ما يحدث داخل المنزل ...

وفى صبر ، انتظر ...

وانتظر ...

وانتظر ...

وبعد ساعات من تفتيش متصل ، نقلت إليه الدفأة حديث الرجال مع البارون ، وصوت (توبلكس) ، وهو يطلب منهم استبدال ثيابه ، قبل أن يرافقهم إليه ...

وبمنتهى الحذر ، زحف (أدهم) على السقف المائل ، حتى بلغ نافذة العليا ، وهى جزء يعلو المنازل الأمريكية ، ويستخدم لتخزين الأشياء الزائدة ، وعالج رتاجـــه فى مهـــارة ، حتى استجاب له وانفتح ، وهنا ، انزلق داخل النافذة العليا ، دون أن يلمحه جيش الرجال ، الذى يحيط بالمنزل ....

كان من السهل بعـــد هـــذا ، أن يفاجئ (توبلكس) ، وهو يستبدل ثيابه ، ويفقده الوعى ، ثم يستخدم قناعًا لوجهه ، أعده منذ أول لقاء بينهما فى (القاهرة) ، وارتدى بعض ثيابه ، ثم هبط فى هدوء ؛ ليستقل السيارة ، مع قائد الفريق ...

وهكذا ، ودون خطط معقـــدة ، وصل إلى مكتب البارون ، والتقى به شخصيًا ...

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

« سيد (أدهم) ... مازلت فى انتظار الجواب » ..

نطقها البارون فى حنق واضح ، فابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ أخبرتك مسبقًا أيها البارون ... من الخطأ ، كل الخطأ ، أن تكشف أوراقك لعدوك .

رفع البارون سبابته ، وهو يقول فى صرامة :

ــ إلا لو كنت مضطرًا .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول :

ــ ليس بالضرورة ...

ثم رفع سبابته بدوره ، مستدركًا :

ــ إلا إذا أجبتنى عن سؤال بالمقابل .

سأله البارون فى حذر :

ــ أى سؤال ؟!

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول فى حزم :

ــ لماذا مزرعتى بالتحديد؟!... ولماذا اللون الأحمر ؟!

صمت البارون لحظة بوجه جامد ، ثم قال فى صرامة :

ــ قلنا سؤالاً وليس سؤالين يا سيد (أدهم) .

اعتدل (أدهم) ، وهو يقول بابتسامة شبه ساخرة :

ــ فلنتنازل إذن عـن الســؤال الثــانى ؛ إذ سيكون جوابه ، إما أنك تستخدم هذا اللقب؛ تيمنًا بجدك الأكبر ، الذى حمله فى الحرب العالمية الأولى ، أو ...

صمت لحظة ، ثم عاد يميل نحوه ، مضيفًا :

ــ أو لأنك تخطط لإنشاء حزب نازى جديد .

رمقه البارون بنظرة جامدة ، توحى بأن (أدهم) قد أصاب أحد الهدفين ، فتابع (أدهم) ، وهو يعتدل مرة أخرى :

ــ وهذا يمكن أن يجيب الســؤال الأول ، فمزرعتى تمتاز باتساع رقعتها ، وبعدها عن خطــوط الطيران الرسمية ، وبأن

Looloo
www.dvd4arab.com

الجبـــال تحيـــط بهـــا من كل جانب ، مما يجعلها موضعًا مثاليًا لـــــ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وتطلع إلى عينى البارون مباشرة ؛ ليدرس رد فعله ، وهو يضيف :

ــ لنواة دولتك النازية الجديدة(*) .

اضطربت عينا البارون لحظة ، قبل أن يستعيد سيطرته على ملامحه فى سرعة ...

ولكن تلك اللحظة لم تغب عن عينى (أدهم) ...

لقد أصاب هدفه بالفعل ...

وبمنتهى الدقة ...

وعلى شفتيه ، ارتسمت ابتسامة ظافرة ، وهو يقول :

ــ أظـــن أنك الآن ، مضطر للاعتراف ، بأننى قـــد ربحت الجولتين ، الثالثة والرابعة أيها البارون .

(*) النازية: مصطلح يعنى بالألمانية (الاشتراكية الوطنية) ، وهى اختصار لحزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى ، الذى حكم (ألمانيا) فى عهد (هتلر) (1933-1945م) ، واشتغلت بسبب سياساته الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) ، التى انتهت بهزيمة (ألمانيا) .

بدا البارون شديد القسوة والصرامة ، وهو يقول :

ــ ليس بعد .

ومع آخر كلماته ، اقتحم جيش من رجال الأمن الحجرة ، وبمنتهى العنف ...

وفى أقل من الثانية ، كانوا جميعهم يصوبون أسلحتهم إلى رأس (أدهم) ...

وشعر البارون بدهشة حقيقية ، عندما ظل (أدهم) محتفظًا بثباته ، وهو يقول :

ــ ترى هل يعلم شياطينك أنهم ، حتى ولو أطلقوا رصاصاتهم نحوى ، فستكون لدىَّ ثانية على الأقل؛ لأنسف رأسك برصاص مسدسى ؟!..

أجابه البارون فى قسوة :

ــ ما سيطلقونه عليك ليس رصاصات أيها المصرى ، بل أسهم مخدرة سريعة المفعول ، ولقد أدركوا ما ينبغى عليهم فعله ، فور أن رأوك تحمل مسدسى ، وتصوبه إلى .

Looloo
www.dvd4arab.com

ومال إلى الأمام ، مضيفًا فى تشفٍ :

ــ فكل أسلحتنا أليكترونية يا رجل ، وأى سلاح لا ينطلق ، إلا ذا تعرف بصمة صاحبه .

ضغط (أدهم) زناد المسدس بالفعل ...

ولكن البارون كان على حق ...

فالزناد لم يستجب ...

أبدًا ...

وفى نفس اللحظة ، أطلق الرجال أسهمهم المخدرة ...

وشعر (أدهم) بوخزات مؤلمة ، فى كل مكان من جسده تقريبًا .

وبينما دار رأسه فى شدة ، لمح البارون ينهض من خلف مكتبه ، قائلاً فى صرامة وحشية :

ــ كان ينبغى أن تدرك أن البارون يربح معاركه دومًا أيها المصرى .

وبعدها ، غامت عينا (أدهم) ، وفقد عقله الإحساس بما حوله ...

وسقط ...

فى قلب عرين العدو .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

8 . الأســـــير ...

« أظننا سنتوقف هنا ... » ...

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة ، عندما نطقت (منى) هذه العبارة فى صرامة ، وهى تجلس إلى جواره ، فى المقعد الخلفى للسيارة ، التى أقلتها من المطار ، وأدهشه أكثر ، أن أجابها السائق ، فى صرامة مماثلة :

ــ لست أظن هذا .

وفى اللحظة التالية ، بلغت دهشة (قدرى) ذروتها ، عندما اندفعت (منى) إلى الأمام فجأة ، وأحاطت عنق السائق بذراعها اليسرى ، وهى تقول فى لهجة آمرة :

ــ بل سنفعل .

جاء رد فعل السائق ليحول دهشته إلى ذهول ، عندما مال بالسيارة إلى جانب الطريق ، وسحب من حزامه مسدسًا ، حاول أن يلف معه ذراعه ؛ ليصوب إلى رأس (منى) ، التى أمسكت معصمه بيمناها فى قوة ، وهى تقول :

ــ هذا ما توقعته .

ثم دفعت رأسها إلى الأمـام فى قـوة ، لتضرب السائق فى مؤخرة عنقه ، فى نفس اللحظة التى لوت فيها معصمه فى قوة ، أجبرته على إفلات مسدسه ، الذى سقط بين قدمى (قدرى) ، وهذا الأخير يهتف :

ــ ماذا يحدث ؟!

ولم تجبه (منى) ، وهى تفلت معصم السائق ، ثم تلكمه فى مؤخرة عنقه بكل قوته مرة ...

وثانية ...

وثالثة ...

وعلى الرغم من أن السائق يفوقها قوة بكثير ، فقد دار رأسه مع ضرباتها القوية ، وحاول بأصابع مرتجفة ، التقاط جهاز اتصال مجاور ، إلا أن اللكمة الرابعة جعلت رأسه يندفع إلى الأمام ، ويرتطم بإطار السيارة ، التى توقفت بصرير مزعج ، على جانب الطريق ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى سرعة ، انحنت (منى) تلتقط مسدس السائق ، وهى تهتف :

ــ هيا بنا .

فتحت باب السيارة ، وقفزت منه إلى الشارع ، وهى تخفى المسدس فى طيات ثيابها ، وهتف (قدرى) ، وهو يغادر السيارة فى صعوبة :

ــ ماذا حدث ؟!

أجابته ، وهى تجذبه بعيدًا عن السيارة :

ــ إنه ليس سائقنا .

هتف لاهثًا ، وهو يحاول مواكبة سرعتها :

ــ وكيف علمت ؟!

أجابته ، وهى تنحرف معه ، من شارع إلى آخر :

ــ لقـد تردد عندما سألته ، عما إذا كانوا قد عثروا على (أدهم) أم لا ، وكان من الواضح أنه يجهل عما أتحدث .

هتف ، ولهاثه يتزايد ، مع ارتجاج جسده الضخم ، من سرعة سيرها :

ــ وماذا فى هذا ؟!... إنه مجرد سائق !!

قالت ، وهى تشير إلى واحدة من سيارات الأجرة الصفراء :

ــ كان ينبغى أن يقـول : إنه لا يعلم ، ولكن محاولته الإجابة كشفت أمره .

توقفت وهى تلهث فى شدة ، عندما توقفت أمامها سيارة الأجرة ، وسمعها تقول للسائق :

ــ (بورت أوثورتى).

سألها ، وهو يدخل السيارة خلفها :

ــ ما هذا ؟!

أجابته فى حزم :

ــ نقطة تجمع المواصلات فى (مانهاتن)(*) ... لن يتوقعوا أن نستقل حافلة عادية.

ارتفع حاجباه مرة أخرى فى دهشة ، ولكنه لاذ بالصمت ، حتى وصلوا إلى المكان ، وهناك سألها :

ــ من هؤلاء ، الذين تقصدينهم ؟!... وإلى أين سنذهب ؟!

(*) حقيقـــة

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابته ، وهما يتجهان إلى موقف الحافلات :

ــ ألم تفهم بعد ؟!... هناك من راقب تحركاتنا ، وأبلغ رجال البارون أننا استقللنا الطائرة إلى هنا ، فأرسل من ينتظرنا .

غمغم فى توتر :

ــ يا إلهى !

أجابته فى حزم :

ــ سنفعل ما لا يتوقعونه ، كمـــا علمنى (أدهم) ... سنستقل الحافلة إلى مدينة (سيكوكاس) ، فى نيوجيرسى ... لدينا منزل آمـــن هناك ، وهى تبعـــد خمس عشرة دقيقة فحسب عن (نيويورك) .

لهث من الانفعال هذه المرة ، وهو يقول :

ــ هذا يعنى أن موقفنا شديد الحساسية .

قالت فى حزم :

ــ ويعنى أيضًا أن معركتهم مـــع (أدهم) لم تحسم بعد ، وإلا ما حاولوا استخدامنا للسيطرة عليه .

غمغم ، مع وصول الحافلة :

ــ ويعنى أيضًا أننا فى خطر ... خطر كبير ...

وكان على حق فى قوله ...

تمامًا ...

* * *

ارتجاجات السيارة القوية ، جعلت (أدهم) يستعيد وعيه فى بطء ...

لم يدر كم ظل تحت تأثير المخدر القوى ، ولكن حرارة الطقس من حوله ، وسخونة تلك القيود الحديدية ، التى تربطه إلى مقعد معدنى ثقيل ، مثبت فى أرضية صندوق السيارة ، الذى يرقد فيه ، جعلاه يدرك أنه حتمًا لم يعد فى (نيويورك)....

وتلك الوسيلة ، التى ترتج بها السيارة ، توحى بأنها تسير على أرض غير ممهدة ...

ومع صفاء ذهنه تدريجيًا ، أدرك أنه قد تم نقله ، بوسيلة ما ، إلى صحراء (المكسيك) ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وربما يتجهون به الآن نحو مزرعته ...

نعم ...

هذا هو التفسير الأكثر منطقية ...

فتح عينيه قليلاً ، ورأى الرجلين القويين ، اللذين يجلسان إلى يمينه ويساره ، وبيد كل منهما مدفعًا آليًّا قويًّا ، بقاذفة لهب صغيرة ، فعاد يغلق عينيه ، متظاهرًا بأنه لم يستعد وعيه بعد ، فسمع أحدهما يقول بالأسبانية :

ــ هل رأيت ؟!... لقد استعاد وعيه ؟!

دفع الآخر (أدهو) بقدمه مرتين ، فلم يصدر هذا الأخير أى رد فعل ، مما جعل الرجل يغمغم فى صرامة ، باللغة نفسها :

ــ ليس بعد .

قال الأول فى عصبية :

ــ لقد فتح عينيه وأغلقهما .

زمجر الثانى ، قائلاً :

ــ رأيت مصابين بالغيبوبة المرضية يفعلون هذا ، ويواصلون غيبوبتهم .. اهدأ يا رجل .. سنصل عما قريب ، وتنتهى مهمتنا .

صمت الأول لحظات ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية :

ــ مادام بالخطورة التى يتحدثون عنها ، فلماذا لا نقتله وننهى الأمر ؟!

أجابه الثانى فى قسوة :

ــ البارون أمر بأن يبقى حيًّا ، حتى يصل إلى هنا .

غمغم الأول :

ــ لست أدرى لماذا ...

قاطعه الثانى فى شراسة ، قبل أن يتم عبارته :

ــ إننا لا نتقاضى ذلك الأجر المجزى ، حتى ندرى أو لا ندرى يا رجل ... إننا ننفذ الأوامر فحسب .

بدا الأول متبرمًا ، وهو يقول :

ــ فليكن ... ربما يكون وقوعه فى قبضة سنيور (ألنزو) مأساويًّا ، أكثر من الموت نفسه .

خزن (أدهم) كل تلك المعلومات فى ذهنه ، وظل متظاهرًا بالغياب عن الوعى ، حتى توقفت السيارة أخيرًا ، وسمع صوتًا أنثويًّا ، يقول بلهجة آمرة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لماذا تأخرتما ؟!

أجابها الثانى متوترًا :

ــ لقد جئنا به ، فور هبوط الطائرة يا سنيورا.

أجابتهما فى صرامة :

ــ حسن .... سنتولى أمره من هنا .

فتح أحدهم الباب الخلفى لصندوق السيارة ، إثر عبارتها ، وشعر (أدهـــم) بأيادٍ قوية ، تحيط معصميه بأغلال فولاذية أخرى ، ربطوها فى أرضية السيارة ، قبـــل أن يحلوا أغلاله الاولى ، ثم سحبوا الأرضية كلها خارج السيارة ، فضربت أشعة الشمس القوية وجهه ، مما جعله يغلق عينيه فى قوة ، كرد فعل غريزى ، فقالت صاحبة الصوت الأنثوى ، فى لهجة تجمع بين الصرامة والسخرية :

ــ لا داعىَ لمزيد من التظاهر يا سنيور (أدهم) ، فكمية المخدر ، التى دخلت جسدك القوى ، لا تكفى لتخديره كل هذه الفترة .

فتح (أدهم) عينيـــه فى بطء ، مع ضـــوء الشمس القوى ، ووقع بصره على حسناء ممشوقة القوام ، خمرية البشرة ، ذات

عينين واسعتين سوداوين ، وشعر ناعم طويل شديد السواد ، تبتسم فى ظفر ، قائلة :

ــ مرحبًا بك فى مزرعتك سابقًا .

قال فى هدوء :

ــ وحاليًا .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

ــ أمازلت تحلم ؟!

كانت محاطة بعدد من الرجال الأقوياء المسلحين ، وكل منهم يرتدى ذلك الزى العسكرى الأحمر المستفز ، ويحمل مدفعًا من الطراز نفسه ، الذى حمله حارساه طوال الطريق ، وعبر عبارتها مباشرة ، حمل أربعة منهم أرضية السيارة ، واتجهوا بها إلى داخل مبنى المزرعة ، وهى تسير إلى جواره ، قائلة :

ــ يدهشنى أن البـــارون يتعامل معك ، بأسلوب يخالف كل ما اعتدناه منه ؛ فلقد أعد لك جناحًا فاخرًا ، داخل المزرعة ، ولم يأمر بسجنك مع الآخرين ، فى إسطبل الخيل .

قال فى سخرية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ يالها من مشاعر رقيقة !

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ــ هــذا لا يروق لى فى الواقــع ، ولكن لا أحــد يجرؤ على مخالفة أوامره.

سألها ، وهم يصعدون بمحفته المعدنية إلى الطابق الثانى :

ــ ولماذا هذه الرقة فى رأيك ؟!

ابتسمت فى سخرية ، وقالت :

ــ لا أحد يجيب الأسئلة هنا ، سوى البارون نفسه .

وصل الركب إلى حجرة (أدهم) القديمة فى المزرعة ، ولاحظ على الفور أن نوافذها الثلاث قد أغلقت بقضبان من الصلب القوى ، فى حين توزع أكثر من عشرة رجال فى كل أركانها ، يصوبون إليه مدافعهم الآلية ، وهى تكمل :

ــ ستروق لك الإقامة هنا يا سنيور (أدهم)؛ لو أنك لم تقم بأية محاولة حمقاء للفرار ، وستجد ثيابك كلها فى دولابك ، لم يعبث بها أحد ، كما ستتناول ثلاث وجبات ساخنة يوميًا ، مع ملاحظة أن النوافذ كلها موصولة بتيار كهربى قوى ، يكفى لقتل

فيل فى لحظات ، والباب موصول بجهاز تفجير خاص ، بحيث ينسف الحجرة كلها ، إذا ما حاولت اقتحامه بالقوة ، بالإضافة إلى أننا قد زودنا المكان ، بما فيه حمامك الخاص ، بعدد كبير من الكاميــرات الخفيــة ، التى ستنقل لطاقم الحراسة كل همسة منك هنا .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

ــ هو سجن خمسة نجوم إذن .

مطت شفتيها ، قائلة :

ــ كم أمقت هذا !

ثم أشارت إلى الرجال ، فحل بعضهم أغلاله ، فى حين صوب إليه الآخرون أسلحتهم من بعيد فى تحفُّز ، وهى تقول :

ــ ستصلك وجبتك الأولى خلال ساعة واحدة ، بعد أن تغتسل وتستعد .

هزَّ كتفيه ، وهو يدعك معصميه ، قائلاً :

ــ لا يروق لى أن أغتسل ، فى مشهد سينمائى ، يراقبه طاقم أمنكم .

Looloo
www.dvd4arab.com

غمغمت :

ــ سرعان ما تعتاد هذا .

ثم أشارت إليه ، مستطردة فى صرامة :

ــ والآن ستقف فى هذا الركن البعيد ، حتى نغادر الحجرة .

اتجه نحو الركن فى هدوء ، وهو يقول :

ــ هناك سؤال واحـــد ، لست أظن البـــارون يعترض على إجابته .

سألته فى حذر :

ــ وما هو ؟!

أجاب ، وهو يقف فى ذلك الركن :

ــ ما اسمك ؟!

ابتسمت وهى تراقب انسحاب الرجال فى حذر ، وأجابت :

ــ (كاترين) .

رفع حاجبيه وخفضهما ، وهو يقول :

ــ اسم جميل كصاحبته ، ولكننى لست أدرى فى الواقع لماذا لا ترتدين زيًا أحمر كالباقين ، أظنه سيناسبك أكثر منهم .

تراجعت تغلق الباب ، وهى تغمغم :

ــ أنا فى حل ، من أجابة هذا .

سمع صوت رتاج قوى يغلق خلفها ، ودارت عيناه فى المكان ، يبحث عن تلك الكاميرات الخفية فيه ...

كانت هناك أكثر من عشر كاميرات ، مزروعة فى أرجاء المكان ، فى حرفية كبيرة ، ولكن عينيه الخبيرتين حددت مواقعها ، وأدرك أنها تغطى كل شبر من الحجرة تقريبًا ، فاتجه نحو أحد النوافذ ، وفحصها بنظره ، ولكن نقطة اتصالها بالتيار الكهربى لم تبد له واضحة ، فعاد إلى فراشه ، واستلقى عليه فى استرخاء ، وأغلق عينيه فى هدوء ...

« مدهش هذا المصرى !!... » ...

نطقتها (كاترين) فى خفوت ، وهى تراقب الشاشات ، فى حجرة الأمن ، قبل أن تتابع :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وجهه لا يحمل ذرة من الخوف أو القلق ، وكأنه يقضى إجازته فى منتجع فاخر بالفعل .

غمغم (ألنزو) فى شراسة :

ـ لو أن الأمر بيدى ، لعذبته حتى أسحق غروره هذا .

أجابته فى صرامة :

ـ سيسحقك البارون ، لو مسست شعرة منه.

قال فى حدة :

ـ ولماذا ؟!... أليس المفترض أنه عدو ؟!

صاحت به فى خشونة :

ـ ليس هذا من شأنك .

كظم غيظه فى صعوبة ، ولكنه عجز عن منعه من الانتقال إلى صوته ، وهو يقول :

ـ ومتى يصل البارون ؟!

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب فى شراسة صارمة :

ـ عندما يقرر هو هذا .

فى نفس اللحظـــة التى نطقتها ، كـــان البارون يواجه سائق السيارة فى غضب ، قائلاً :

ـ إذن فقد أفلتوا منك !... كيف هذا أيها المعتوه ؟!.. فتاة ضئيلة الحجم ، ودب بدين ، يفلتان من محترف مسلّح ؟!.. كيف ؟!

أجابه السائق فى توتر :

ـ الفتاة ضئيلة ، ولكنها قوية ، وتتحرك بسرعة مدهشة ، ثم أنها باغتتنى بالهجوم ، دون أن أتوقع هذا .

بدا شديد الغضب ، وهو يقول :

ـ أأنا محاط بالحمقى أم ماذا؟!... للمرة الثانية نفقد عنصر المفاجأة؛ بسبب غلطة سخيفة من أحدكم... ألم تعلم أيها الغبى أن هذين الاثنين كانا وثيقة التأمين ، التى ستجبر (أدهم) على توقيع عقد البيع.

بدا الرجل شديد التوتر والخوف، وهو يقول :

ـ سيدى البارون ... إننى ...

قاطعه البارون بإشارة صارمة من يده ، صائحًا :

ـ اصمت .

Looloo
www.dvd4arab.com

أطبق الرجل شفتيه فى خوف ، فى حين التفت البارون إلى (توبلكس) ، الذى لم يستعد تماسكه بعد ، وقال بلهجة آمرة :

ــ وزع صورهما ، ونشرة بأوصافهما ، على كل رجل لدينا ، فى كل الولايات ، وأخبر الجميع أننى سأمنح مليون دولار نقدًا ، لمن يأتى بهما على قيد الحياة ... أريدهما بأى ثمن ... هل تفهم يا هذا ؟!... بأى ثمن .

غمغم (توبلكس) مرتجفًا :

ــ سأنفذ أوامرك فورًا يا سيدى البارون .

رمقه البارون بنظرة وحشية ، ثم قال :

ــ مر الرجـــال بإعداد طائرتى الخاصة ؛ فأنا شديد الشغف ؛ لمقابلة السيد (أدهم) ، بعد أن صار فى قبضتى ، فالمفاجأة التى أعددتها له ، ستفوق كل تصوراته ... ألف مرة .

ولم يفهم (توبلكس) ما تعنيه تلك المفاجأة ...

أو حتى طبيعتها ...

لم يفهم أبدًا ...

* * *

من كل زاوية ممكنة ، درس (أدهم) موقفه ، وهو راقد على فراشه ، مغلق العينين ، يعلم أن رجال البارون يتابعون كل حركة يقوم بها فى تحفُّز ...

فلو صح حديث (كاترين) ، فلا توجد بالفعل وسيلة واحدة للفرار ، من هذا الأسر ..

ولكن عقله لم يقبل أبدًا ، طوال حياته ، كلمة (مستحيل) هذه ..

فالذين صنعوا هذا هم مجرد بشر ...

والبشر لا يضعون نظامًا محكمًا أبدًا ...

هناك دومًا ثغرة ما ...

ثغرة ربما لم ينتبهوا إليها ...

أو لم يضعوها فى حسبانهم ...

ومهمته هى أن يبحث عن تلك الثغرة ...

وعن كيفية الإفادة منها ...

ولكن أين هى ؟!...

وكيف يمكن استغلالها ؟!...

Looloo
www.dvd4arab.com

كيف ؟!...

« سنيور (أدهم) .... قف فى ذلك الركن .. » ...

آتاه صـــوت (كاترين) صارمًا ، عبر مكبر صوتى ، ففتح عينيه ، وقال فى سخرية :

ــ وماذا لو لم أفعل ؟!

آتاه صوتها يقول فى صرامة أكثر :

ــ لن تتناول وجبتك .

هزَّ كتفيه ، وهو مازال مستلقيًا على فراشه ، وغمغم :

ــ أظننى قد فقدت شهيتى .

لم يكد ينطقها ، حتى سرى فى جسده تيار كهربى مفاجئ ، جعله يقفز من الفراش مضطرًا ، وسمعها تقول :

ــ سيحدث هذا ، كلما رفضت تنفيذ الأوامر .

وقف إلى جوار الفراش لحظة فى صمت ، يراقبه فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ــ فليكن .

تحرك إلى ذلك الركن البعيد من الحجرة ، وسمع بعدها صوت رتاج الباب يفتح ، ثم اندفع حراسه العشرة ، يصوبون إليه أسلحتهم فى تحفُّز ، ودخلت بعدهم (كاترين) ، وهى تقول فى ظفر :

ــ هذا أفضل .

تبعها رجل يدفع أمامه عربة حمراء اللون ، تفوح من الأطباق فوقها رائحة شهية ، ورص أطباق الطعام على مائدة بالقرب من الفراش ، و(كاترين) تقول :

ــ لن تتناول العشاء فى حجرتك الليلة .

غمغم فى سخرية :

ــ أهذا عقاب آخر ؟!

أجابته فى ضيق :

ــ كنت أتمنى هـــذا ، ولكن البارون سيصل خلال ساعة من الآن ، ولقد أمر بأن تتناول العشاء على مائدته .

قال فى حزم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ تقصدين مائدتى .

تجاهلت تعليقه ، وهى تقول :

ــ احرص على أن ترتدى حلة نظيفة ، مع رباط عنق أنيق؛ فالبارون لا يتنازل عن الرسميات ، فى مثل هذه الأمور.

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لا شك فى أن بارونكم هذا مصاب بازدواج عجيب فى الشخصية ، فهو يتعامل مع بعض أسراه كالنبلاء ، ومع باقى البشر كزعيم عصابة من الدرجة الثالثة.

مرة أخرى ، تجاهلت تعليقه ، وقالت فى صرامة :

ــ العشاء يتم تقديمه فى التاسعة والنصف .

قالتها ، وأشارت إلى الرجال ، فانسحبوا بالتكنيك نفسه ، فى حين اعتدل هو ، وسألها فى صرامة :

ــ ماذا يتناول الباقون فى الإسطبل ؟!

أجابته ، وهى تستعد للانصراف :

ــ ليس هذا من شأنك .

أجابها فى صرامة أكثر :

ــ لن يمكننى أن أتذوق لقمـــة واحـــدة من هـــذا ، لو أنهم لا يتناولون الجيد من الطعام .

توقفت ، واكتست ملامحها الجميلة بغضب صارم ، وهى تقول :

ــ لو أن هذا يؤرقك إلى هذا الحد ، سآمر (ألنزو) بأن يحرص على ألا يحتاج أحد منهم إلى الطعام قط .

أدرك ما تعنيه كلماتها ، فغمغم فى مقت :

ــ هذا هو ازدواج الشخصية ، الذى أتحدث عنه .

رمقته بنظرة عجيبة ، قائلة :

ــ تناول طعامك يا سنيور (أدهم) .

ثم أغلقت الباب خلفها ، وسمع صوت الرتاج الثقيل يغلق ...

ولثوان ، بقى (أدهم) واقفًا ، يتطلَّع إلى الباب المغلق ، ثم نقل بصره إلى الطعام ، الذى تتصاعد منه رائحة شهية للغاية ...

لم يكن قد تناول أى طعام ، منذ ليلة أمس ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تجاهل الطعام تمامًا ، وعاد يرقد على فراشه ، ويغلق عينيه ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى أعماقه ، ودون أن تحمل ملامحه أى تغيير ، ارتسمت ابتسامة كبيرة ...

لقد عثر على نقطة الضعف فى زنزانته المحكمة...

وعليه أن يحسن استغلالها ...

إلى أقصى حد .

* * *

9ـ الـوحـش ...

رفع (قدرى) عينيه ، عن العمل الدقيق الذى يقوم به ، وتطلع إلى (منى) ، وابتسم وهو يقول :

ــ هل لى بالتعرف إليك أيتها الفاتنة ؟!

بدت (منى) شديدة الجدية ، وهى تقول :

ــ لست أظن هيئتى تختلف ، عن الصورة التى أمامك .

خفض (قدرى) عينيه لحظة ، إلى صورة (منى) ، فى الهوية الأمريكية الزائفة ، التى انتهى من صنعها ، ثم عاد ببصره إليها ، قائلاً :

ــ بل هو اختلاف تام ... أنت من لحم ودم .

كانت ترتدى ثوبًا أزرق اللون ، شديد الأناقة ، وتضع على رأسها باروكة شقراء ، ذات شعر متمـوج ، وعلى عينيها عدستين خضراوين ، جعلاها تبدو كأمريكية من أصل لاتينى ...

وفى اهتمام ، التقطت الهوية الأمريكية ، وألقت نظرة عليها ، قبل أن تغمغم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ عبقرى كعادتك يا (قدرى) .

رفع أمامها هوية أخرى ، تحمل صورته ، بشارب ضخم ، وهو يقول فى حماس :

ــ لقد صنعت أخرى لى .

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى صرامة :

ــ كلا .

تراجع فى مقعده الكبير ، وهو يقول مستنكرًا :

ــ ماذا تعنين بكلا هذه ؟!

أجابته فى حزم :

ــ إنهم يبحثون عن فتاة بصحبة رجل ضخم ، ومهما بلغت دقة تنكرنا ، فسيثير وجودنا معًا شكوكهم .

قال فى ضيق :

ــ ولكننى لم أسافر من (القاهرة) إلى هنا ؛ لأجلس ساكنًا فى انتظارك .

اعتدلت ، قائلة :

ــ ومن قال : إنك ستفعل ؟!

نظر إليها فى تساؤل ، فمالت نحوه ، مردفة :

ــ لدىَّ مهمة خاصة لك .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى حدثت المفاجأة ...

تحطم باب المنزل فى قوة ، واندفع عبره خمسة رجال ، يحملون أسلحة قوية ...

وانقضوا على (منى) و(قدرى) ...

مباشرة ...

وبكل ما تعلمته (منى) فى حياتها ، وثبت تلتقط مسدس السائق ، ثم دارت حول نفسها ، وأطلقت النـــار نحـــو الرجال الخمسة ، وأصابت اثنين منهم فى صدريهما ، قبل أن يطلق ثالث رصاصاته ، فيطيح بمسدسها فى قوة ...

ولدهشتها ، رأت الرجلين اللذين أصابتهما ينهضان ، والثلاثة الآخرون ينقضون عليها ، فى حين التقط (قدرى) تمثالاً صغيرًا ، وقذف به أحدهم ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وقاتلت (منى) ، بكل ما تملكه من قوة وإرادة ...

وقاتلت ...

وقاتلت ...

ولكن مواجهة خمسة رجال أقوياء ، لم تكن بالأمر الممكن ، لفتاة فى حجمها ....

لذا فقد وقعت فى قبضتهم أخيرًا ...

أما (قدرى) ، فقد رفع ذراعيه مستسلمًا ، مع فوهة المدفع الآلى ، التى التصقت بجانب عنقه ...

وفى هدوء واثق ، دخل (توبلكس) المنزل ، وهو يقول بابتسامة ظافرة :

ــ جميل أن نلتقى مرة أخرى يا آنستى ... مرحبا يا سيد (قدرى) .

غمغم (قدرى) :

ــ يؤسفنى أن أخبرك ، أنك مازلت ضيفًا غير مرغوب فيه يا رجل .

ابتسم (توبلكس) ، والتمعت عيناه ، وهو يقول :

ــ ويؤسفنى أنا أن أخبرك ، أنك ستضطر لاحتمـــال وجودى طويلاً ، يا سيد (قدرى) .

غمغمت (منى) فى مقت ، وقد قيد اثنان من الرجال حركتها :

ــ مـــن الواضح أن عيونكم منتشـــرة ، فى كل مكـــان أيها المحامى .

أومأ برأسه ، قائلاً :

ــ هذا صحيح يا آنستى ... والمكافأة التى رصدها البارون ، كانت كافية لفتح كل العيون .

ثم أشار إلى (قدرى) ، مضيفًا :

ــ هذا بالإضافة إلى أنه يصعب نسيان السيد (قدرى) ، عندما يسير إلى جوار حسناء مثلك .

قالت فى حدة :

ــ ومن الواضح أن البارون قد طلب إحضارنا ، على قيد الحياة ، وإلا لما أفلتنا من رصاصات رجالك .

Loolaa
www.dvd4arab.com

أومأ برأسه ثانية :

ــ هذا صحيح مرة أخرى .... لقد طلب إحضاركما حيين .

ثم انعقد حاجباه فجأة ، وهو يضيف :

ــ ولكن ليس بوعييكما .

مع قوله ، رأت أحد الرجال يغرس محقنًا فى عنق (قدرى) ، وشعرت بوخزة مؤلمة فى عنقها ....

ثم تهاوى كل شىء ...

فجأة ...

* * *

« لقد كان جادًا فى قوله .. » ..

نطق (ألنزو) عبارته فى قسوة ، ومقت ، قبل أن يلتفت إلى (كاترين) ، مستطردًا :

ــ إنه لم يقرب الطعام قط .

راقبت (كاترين) الشاشات ، وهى تغمغم :

ــ من الواضح أنه عنيد ، وقوى الإرادة إلى حد مدهش .

صمتت لحظة ؛ لتخفى لمحة إعجاب فى صوتها ، قبل أن تتابع :

ــ ولكن ها هو ذا يستعد ؛ لتناول العشاء مع البارون .

غمغم (ألنزو) فى مقت :

ــ لا يمكننى استيعاب هذا .

قالت فى صرامة :

ــ ليس مهمًا أن تستوعبه ... المهم أن تنفذه .

جمعت طاقم الأمن ، وقالت عبر مكبر الصوت فى حجرة (أدهم) :

ــ إلى الركن يا سنيور (أدهم).

اتجه (أدهم) فى هدوء إلى ذلك الركن البعيد ، ولم تمض دقيقة ، حتى دخلت (كاترين) المكان ، مع الرجال العشرة ، وأشارت إلى اثنين آخرين ، فتقدما من (أدهم) فى حذر ، وهما يحملان سلسلة قصيرة ، تنتهى بأغلال معدنية ، أحاطا بها كاحلى (أدهم) ، الذى قال فى سخرية :

ــ ألا تخشون أن أعضهم ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

هزت رأسها نفيًا ، وقالت :

ــ إنك لن تضيع فرصة اللقاء بالبارون .

أجابها ، والرجلان يدفعانه أمامهما ، والمدافع العشرة مصوبة إليه من بعيد :

ــ لقد سبق أن التقينا فى مكتبه .

قالت فى صرامة :

ــ هذا اللقاء سيختلف .

لم يكن هبوط درجات السلم سهلاً ، بتلك الأغلال فى كاحليه ، ولكنه وصل بها إلى صالة المزرعة ، حيث امتدت مائدة الطعام ، وفوقها شمعدان كبير مضاء ، والبارون يجلس عند أحد طرفيها ، ويستقبله بابتسامة ظافرة ، قائلاً :

ــ مرحبًا يا سيد (أدهم) ... أتعشم أن يروق لك الطعام على مائدتى .

قادت (كاترين) (أدهم) إلى الطرف الآخر للمائدة ، وأوصل الرجلان سلسلة قوية فى أحـد أرجلها إلى سلسلة كاحليه ، وهو يقول :

ــ إنها مائدتى حتى الآن أيها البارون ... لو أنك نسيت هذا .

ثم ابتسم فى سخرية ، مضيفًا :

ــ ومن عادتى ألا أدعو أمثالك إليها .

تجاوز البارون العبارة ، وهو يقول :

ــ قبل أن ينتهى العشاء ، ستكون أمور عديدة قد تغيرت أيها المصرى .

بدأ الخدم فى رص الطعام ، والبارون يتابع :

ــ الواقع أن هذا المكان يروق لى كثيرًا ، وعلى الرغم من هذا ، فسأجرى عليه بعض التعديلات .

قال أدهم ساخرًا

ــ هل ستضع فيه صورة كبيرة لـــ (هتلر) ؟!..

أشار البارون ، قائلاً :

ــ (هتلر) صار ماضيًا يا سيد (أدهم) ، ولكن الفكرة لا بأس بها ، من الناحية الجمالية .

مال (أدهم) نحوه ، قائلاً فى سخرية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أو من الناحية الديكتاتورية .

ضم البارون شفتيه فى غيظ ، وصمت لحظات ليهضم انفعاله ، ثم قال :

ــ بم تحـــب أن تبـــدأ يا سيد (أدهم) ؟!... بالسَّلَطَة أم بالحساء ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ــ وماذا لو بدأنا بالحديث ، عن سبب هذه الدعوة السخية ؟!

صمت البارون لحظات ، ثم بدأ فى تناول الحساء ، وهو يقول :

ــ الأوراق كلها جاهزة للتوقيع يا سيد (أدهم) .

قال (أدهم) فى هدوء :

ــ ولماذا لم توقعها ؟!

أجابه ، وهو يدرك عبثية السؤال :

ــ لقد وضعت عليها توقيعى بالفعل ، وبقى توقيعك .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ يبدو أنك ستنتظره طويلاً .

انعقد حاجبا البارون فى غضب ، ثم اعتدل يرمق (أدهم) بنظرة وحشية ، أجابها هذا الأخير فى سخرية :

ــ هل من المفترض أن أرتجف خوفًا ؟!

ضغط البارون زرًّا صغيرًا إلى جواره ، وهو يقول فى شراسة :

ــ بل لدىَّ وسيلة أفضل أيها المصرى .

مع آخر عبارته ، ارتفع دوى رصاصة من بعيد ، ممتزجة بصرخات مكتومة ، فانعقد حاجبا (أدهم) بشدة ، فى حين قال البارون ، وقد بدا أكثر ما يكون وحشية :

ــ معذرة أيها المصرى ، ولكن مع كل جواب يستفز مشاعرى ، سأضغط هذا الزر ، الذى يعطى (ألنزو) إشارة؛ لإعدام أحد رجالك فى الإسطبل .

ازداد انعقاد حاجبى (أدهـــم) فى غضب ، فى حين استعاد البارون هدوءه ، على نحو عجيب ، وعاد يتناول حساءه ، وهو يقول :

ــ لذا ، فمن الأفضل أن يدور الحديث بيننا ، كما يدور بين رجال الأعمال المحترمين .

Looloo
www.dvd4arab.com

شعر (أدهم) أنه أمام وحش كاسر ، لا يردعه أى شىء ، فصمت بعض الوقت؛ للسيطرة على غضبه وانفعاله ، ثم قال فى هدوء :

ــ ولكن ماذا لو أننى مازلت أرفض البيع ؟!... كم من الرجال سيقتل ذلك السفاح (ألنزو) ، بسبب هذا ؟!

هزَّ البارون كتفيه فى هدوء ، وقال دون أن يرفع عينيه عن الحساء :

ــ ما يتطلبه الأمر ...

صمت (أدهـم) لحظـات ، وهـو يتطلَّع إلى ذلك الوحش المفترس ، الذى يجلس هادئًا أمامه ، غير مبال بما أزهق من أرواح بريئة ، ثم مال نحوه ، قائلاً :

ــ الواقع أننى قد أصدرت أوامرى ، منذ التقيت بمحاميك فى (القـاهرة) ، بألا يتم اعتمـاد توقيعى ، على أية عقود شراء أو بيع ، إلا بحضورى شخصيًا ، وإلا ...

قاطعه البارون ، فى هدوء عجيب :

ــ أعلم هذا .

اعتدل (أدهم) على مقعده ، وهو يقول :

ــ وهل تتوقع منى أن أذهب شخصيًا ؛ لاعتماد توقيعى ؟!

ابتسم البارون ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ هل ترانى بمثل هذا الغباء ؟!...

صمت (أدهم) مرة أخرى ؛ محاولاً ان يستشف ما يدور فى ذهن البارون ، قبل أن يسأله فى بطء :

ــ وكيف تظن أنك ستتجاوز هذا الإجراء ؟!

التقط البارون منشفة صغيرة ، بطريقة أنيقة ، ومسح شفتيه فى رفق ، وهو يجيب ، بنفس الابتسامة الغامضة :

ــ دع لى هذا .

كرر (أدهم) فى حزم :

ــ مازلت أتساءل : كيف ؟!

تجاهل البارون السؤال هذه المرة ، وهو يقول :

ــ إنك لم تتناول شيئًا من طعامك ، يا سيد (أدهم) .

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه (أدهم) فى شىء من الصرامة :

ــ لقـد أخبـرت حسناءك الخمـرية ، أننى لـن أتـذوق الطعام ، قبل أن أطمئن إلى أن رجال مزرعتى يتنـاولون طعامًا جيـدًا .

بدت ابتسامة البارون أشبه بابتسامة ذئب ، وهو يقول :

ــ أتعنى من تبقى منهم ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، ثم مال إلى الأمام ، وهو يسأله :

ــ هل تروق لك إراقة الدماء ، فقط لأنها حمراء.

هزَّ البارون كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ ربما .

ثم استطرد فى صرامة :

ــ ولكننا سنواصل إراقتها ، حتى يلين رأسك الصلب .

واصل (أدهم) صمته لحظات أخرى ، ثم قال :

ــ وماذا لو عقدنا صفقة ؟!

سأله البارون بلا اهتمام :

ــ من أى نوع ؟!

أجابه فى حزم :

ــ أن تطلق سراح نصف الرجال ، ثم أوقع تلك الأوراق .

تطلع إليه البارون لحظة فى صمت ، ثم انفجر فجأة ضاحكًا ، على نحو مستفز ، وجفف شفتيه مرة أخرى ، بمنشفته الحريرية الحمراء ، قبل أن يقول :

ــ يالك من تاجر فاشل يا سيد (أدهم) ... أوراق اللعبة كلها فى يدى الآن ، فلماذا أعطى بعضها لِك ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ــ حتى لا تخسرها كلها ، خلال الساعات التالية .

التقى حاجبا البارون ، مع هذه العبارة ، وتطلع إلى (أدهم) طويلاً فى صمت ، قبل أن يقول فى حدة :

ــ انتهى العشاء يا سيد (أدهم) .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم نهض من مقعده بنفس الحدة ، صارخًا :

ــ (كاترين) .

اختفى داخل حجرة مكتب (أدهم) الخاصة ، فى نفس اللحظة ، التى ظهرت فيها (كاترين) ، وهى تقول بابتسامة متشفية :

ــ لقد أغضبت البارون .

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ــ إنه غاضب دومًا .

أشارت إلى رجالها ، فالتفوا حول (أدهم) ، يصوبون إليه أسلحتهم فى تحفـز ، فى حين حـل رجلان الأغلال ، المرتبطة بالمائدة ، وقـاده الجميع ، فى موكب متوتر ، حتى حجرته ، وقالت (كاترين) ، قبل أن تغلق بابها خلفها :

ــ ربما تتعلم الليلة ، ماذا يحدث لمن يغضب البارون ؟

بدت ابتسامته غامضة ، وهو يقول :

ــ ربمـــا ؟!

رمقتـه بنظـرة شـك حـذرة ، قبـل أن تغـلق البـاب فى إحـكام ، وتأكّدت مرتين من تشغيل جهاز التفجير المتصل به ، قبل أن تتجه إلى حجـرة المراقبـة ، وتقـول لرجـال البارون فيهـا :

ــ أريد تشديد المراقبة عليه الليلة؛ فهو يبدو غامضًا ، أكثر مما ينبغى .

رأته على الشاشات ، يستلقى على الفراش بثيابه ، ثم يجذب الغطاء فوقه ، ويغلق عينيه ، وهو ينام على جانبه ، فغمغمت فى قلق :

ــ هل سينام هكذا ؟!

أجابها أحد الرجال ساخرًا :

ــ ربما يخجل من خلع ثيابه ، أمام كاميرات المراقبة .

تساءلت ، فى شك أكثر :

ــ وماذا عن الحذاء ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

فى نفس اللحظة ، كان البارون يجرى اتصالاً ، من مكتب (أدهم) ، مع (توبلكس) ، الذى بدا شديد الحماس ، وهو يقول عبر الهاتف :

ــ إنهما فى قبضتنا الآن يا سيدى البارون ... العثور عليهما لم يكن سهلاً ، ولكننا فعلناها .

قال البارون فى صرامة :

ــ انقلهما إلى المطار فورًا ... أريدهما هنا ، قبل أن تشرق شمس الغد .

أجابه (توبلكس) :

ــ بالتأكيد يا سيدى البارون ... بالتأكيد .

أنهى البارون المحادثة ، وتراجع فى مقعـد (أدهم) الكبير ، وهو يقول لنفسه :

ــ سيخضع ذلك المصرى ، حتى لو قتلت كل من يعرف ، فى هذه الحياة .

كان ينطقهـــا فى مقت ، يوحى بأن هدفه الرئيسى ليس شراء المزرعة :

بل إخضاع (أدهم) ...

إخضاع الرجل ، الذى أخضع أقوى أجهزة المخابرات فى العالم .. وأكثر المنظمات الإجرامية بأسًا وعنفًا ...

فطوال حياته ، لم يقاومه أحد إلى هذا الحد ...

الجميع يخضع أمامه ...

إما بالمال ...

أو بفوهة مسدس ، ملتصقة برأسه ...

الجميع بلا استثناء ...

سوى (أدهم صبرى) ...

التفـت مع أفـكاره إلى تلـك الشاشـات الصغيرة أمامه ، والمرتبطة بنفس كاميرات المراقبة ، فى جناح (أدهم) ، وضغط زر تشغيلها ، و ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وفجأة ، سمع تلك الفرقعة المكتومة ...

وانقطع التيار الكهربى فى المكان كله دفعـــة واحدة ...

وانتفض جسد البارون فى قوة ...

فإلى ذهنه ، قفزت فكرة واحدة ؛ لتفسير ما حدث ...

لقد بدأ (أدهم) حربه ، على نحو ما ....

وبمفاجأة .

* * *

10 ـ الحـــرب ...

« ذلك الفراش صعقه من قبل ... » ...

تلك الفكرة كانت تملأ رأس (أدهم) ، عندما استلقى على فراشه ، بعد دعوة العشاء الفاشلة مع البارون ...

وراح عقله يعمل فى سرعة ...

مادام الفراش قد صعقه ، فقد أوصلوه بدائرة كهربية ؛ لأداء هذه المهمة ...

جذب الغطاء فوق جسده ، متظاهرًا بالنوم ، وهو يدرك أن أكثر من دستة من كاميرات المراقبة ، تتابع كل ما يفعله ، ثم مال جانبًا ، والغطاء يخفى حركته ، وبدأت يده الخبيرة تبحث عن مصدر ذلك التيار الكهربى ...

استغرق منه الأمر لحظات فحسب ، قبل أن يعثر على طرفى السلك الرئيسى ، المتصل بشبكة معدنية أسفل الفراش ...

وتحت غطاء الفراش ، راح يقوم بعمل شديد الدقة ، معتمدًا على حساسية وخبرة يديه فحسب ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم جاءت لحظة الحسم ، عندما أوصل طرفى السلك بعضهما ببعض ...

ودوت فرقعة مكتومة ...

ثم انقطع التيار فى المكان كله ...

ومع انقطاع التيار ، دفع (أدهم) الغطاء بعيدًا ، ووثب من الفراش ، مندفعًا نحو باب الحجرة ، فى نفس اللحظة ، التى حملت فيها (كاترين) مدفعها ، صائحة فى غضب :

ــ لقد فعلها ...

اندفعت ، وخلفها طاقم حراستها ، نحو حجرة (أدهم) ، وأحد الرجال يهتف من خلفها :

ــ شبكة الكهرباء هنا تقليدية ، ويمكننا إعادة التيار ، خلال دقيقة واحدة .

صاحت به فى حدة :

ــ مع رجل كهذا ، تكفيه نصف دقيقة للعمل .

والواقع أنها كانت مخطئة فى قولها هذا ...

فبعد عشر ثوان فحسب ، من قفزته من فراشه ، كان (أدهم) يدفع أمامه عربة الطعام بكل قوته؛ ليضرب بها الباب فى قوة ...

ثم وثب فوقها ، واستخدم كل ما لديه من قوة ، ليثب نحو الباب ، مستخدمًا قوة اندفاعه ، وارتطم به فى عنف ...

ومع قوته ، أصدر رتاج الباب صوتًا حادًا ، فتراجع (أدهم) ، ووثب مرة أخرى ...

كان يتحرك فى حجرته ، وداخل مزرعته ، التى يحفظ كل شبر فيها ، ويدرك أن بابها مصنوع من خشب قديم ، بعمر المزرعة نفسها ، وأنه مهما كان رتاجه قويًا ، فإن إطاره لن يحتمل طويلاً ...

وكان على حق ...

فمع الضربة الثالثة ، انهار إطار الباب ، دون أن يعمل جهاز التفجير ، المتصل بشبكة الكهرباء الوحيدة فى المكان ...

وعندما وصلت (كاترين) ورجالها ، وعلى ضوء مصابيحهم اليدوية ، رأت (أدهم) يعدو بكل سرعته ، نحو النافذة الكبيرة ،

www.dvd4arab.com

فى نهاية الممر ، والتى لم يتم تزويدها بالقضبان الفولاذية؛ لوجودها خارج حجرته ، التى تصوروا أنه لن يستطيع مغادرتها ، أو الفرار منها أبدًا ...

وصرخت (كاترين) :

ــ أوقفوه .

قالتهـا ، وهى تطلق رصاصات مدفعهـا ، مـع رصاصات مدافعهم ، إلا أن (أدهم) كان الأسبق ، وهو يثب نحو النافذة الزجاجية ، ويحطمها ، ويخرج منها إلى شجرة كبيرة ، تعلق بأغصانها لحظة ، قبل أن يثب منها إلى الأرض ، فى نفس اللحظة التى عاد فيها التيار الكهربى إلى المكان ، الذى انطلقت فيـه صفارة إنـذار قوية ، ترسـل إلى كل رجال البارون إشارة خطر ...

وعندما واصلت (كاترين) مع رجالها اندفاعهم ، حتى بلغوا النافذة ، لم يكن هناك أثر لرجل المستحيل فى الساحة الخلفية ..

أى أثر ...

وصرخت (كاترين) فى غضب شديد :

ــ إنه لن يذهب بعيدًا ... ابحثوا عنه .. إنه هناك فى مكان ما ..

انطلق رجالها ينفذون أوامرها ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها رنين جهاز اتصالها المغلق الخاص ، فالتقطته فى سرعة ، وسمعت البارون يهتف عبره فى هياج :

ــ هل أوقفتموه ؟!

أجابته فى توتر شديد :

ــ لقد قفز عبر نافذة الممر ... ولكن الرجال انطلقوا خلفه .

صمت لحظة ، ثم قال فى حدة :

ــ أنا أعلم أين ذهب .

غمغمت فى عصبية :

ــ إنه يختبئ فى مكان ما ، من الساحة الخلفية .

صاح بها :

ــ أيتها الحمقاء الغبية ... من الواضح أنك مازلت تجهلين من تقاتلين ... أمثال هذا المصرى لا يختبئون ... إنهم يقاتلون ... وملفه يشير إلى نقطة ضعفه الرئيسية ، وهى التى ستقودنا إليه .

www.dvd4arab.com

سألته فى تردُّد متوتر :

ــ أين ؟!

وعندما أخبرها ، انعقد حاجباها فى شدة ...

فقد كان استنتاجه منطقيًا ...

تمامًا ....

* * *

استعاد (قدرى) وعيه دفعة واحدة ، داخل صندوق تلك السيارة ، التى تنطلق به مع (منى) ، عبر صحراء (المكسيك) ، فى طريقها إلى مزرعة (صاندو) ...

كان من الواضح ، أن كمية المخدر ، التى حقنوه بها ، لا تتناسب مع جسمه الضخم ، مما ساعده على استعادة وعيه ، فى سرعة لم يتوقعها أحد ...

ولهذا لم يكن فى الصندوق سواه و(منى) ، وكل منهما مقيد بأغلال فولاذية ، إلى مقعدين معدنيين ثقيلين ، مثبتين على جانبى الصندوق ...

ولم تكن (منى) قد استعادت وعيها بعد ...

والعجيب أنه ، وعلى الرغم من أن (قدرى) ليس مقاتلاً بطبعه ، إلا أنه ظل محتفظًا بهدوئه ، وهو يغمغم :

ــ والآن ماذا تفعل يا (قدرى) ...؟ أنت الآن وحدك ، ومسئول عن سلامة (منى) ، و (أدهم) لن يغفر لك أبدًا ، لو مسَّها أدنى سوء.

دار ببصره فيما حوله ، على الضوء شديد الخفوت ، ولمح ذلك الدبوس الذهبى ، فى ياقة زى (منى) ، والذى يحمل الحرف الأول من اسم (أدهم) ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وعاد يغمغم لنفسه :

ــ هيا يا (قدرى) ... إنها فرصتك لتثبت مهارتك ، فى التعامل مع هذه الأمور .

بذل جهدًا خرافيًا ، ليميل برأسه ، ثم يحنيه ، وهو يلهث فى صعوبة ، حتى يلتقط ذلك الدبوس الذهبى بأسنانه ، وعندما اعتدل ، كان الدبوس بين أسنانه بالفعل ، فتوقف لحظة ، حتى يسترد أنفاسه ، ثم دفع رأسه جانبًا فى قوة ، ملقيًا الدبوس من بين أسنانه ، وفتح أصابعه الذهبية ؛ ليلتقطه فى الهواء ،

ebook

واتسعت ابتسامته ، على الرغم من الموقف ، وهو يغمغم لنفسه لاهثًا :

ــ عظيم ... خطوتك الأولى تمت بنجاح يا (قدرى) ، وعليك أن تثبت الآن ، أنك تستحق لقب (الأصابع الذهبية) ، الذى أطلقه عليك (أدهم) .

وفى حرفية مدهشة ، ومهارة فذة ، راحت أصابعه تعمل ...

وتعمل ...

وتعمل ...

* * *

سرى توتر وحشى عنيف ، فى كيان (ألنزو) كله ، عندما انقطع التيار الكهربى فى إسطبل الخيـــل فى المزرعة ، ومع صهيل الخيول ، صرخ فى عصبية :

ــ لو تحرك أحدكم ، سأطلق النار على الجميع .

قرن قوله بسيل من طلقات مدفعه ، أطلقه فى هواء الإسطبل ، فتعالى صراخ الجميع ، ممتزجًا بصهيل عصبى من الخيول ، وهتف به (بدرو) مدير المزرعة ، فى توتر شديد :

ــ لن يتحرك أحد ... أرجوك .

عاد التيار الكهربى دفعة واحدة ، عقب عبارة (بدرو) ، وانطلقت صفارات الإنذار فى كل مكان ، مما زاد من توتر الجميع ، ومن صهيل الخيل ، فقال (ألنزو) لرجاله فى عصبية متوترة :

ــ راقبوا الجميع جيدًا ، وأطلقوا النار بلا تمييز ، عند أية محاولة لاقتحام المكان .

قالها ، وهو يندفع خارجًا ، فابتسم أحد شياطينه ، وهو يدير بصره فى رجال المزرعة المذعورين ، مغمغمًا فى نشوة وحشية :

ــ كم سيروق لى هذا !

بدا أحـــد زملائه شغوفًا بفتاة حسناء سمراء اللون ، من العاملات فى المزرعة ، وغمغم ، وهو يتجه إليها :

ــ هناك أمور أخرى ، تروق لى أكثر .

جذب إليه الفتاة فى خشونة ، فصرخت محاولة الإفلات منه ، وضحك رفاقه فى جَذَل وحشى ، فى حين حاول (بدرو) حماية الفتاة ، وهو يقول فى توتر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أرجوك يا سنيور .... ليس النساء .

هوى الرجل بمدفعه على وجه (بدرو) ، فألقاه بعيدًا فى عنف ، وهو يقول فى شراسة :

ــ كلمة إضافية ، وسأنسف رأسك كجواد جريح .

صهلت الخيول ، وكأنها تعترض على الموقف ، وانكمش الباقون فى هلع مشفق ، فى حين واصلت الفتاة المسكينة صراخها ، وهى تقاوم الرجل فى عنف ، وحاول (بدرو) النهوض ، وهو يقول فى ألم :

ــ أرجوك يا سنيور .

التفت إليه الرجل فى وحشية ، وصوب إليه فوهة مدفعه الآلى ، وهو يصرخ :

ــ أنت أردت هذا أيها الغبى .

لم يدر أحدهم كيف حدث ما حدث بعدها ...

فقبل حتى أن ينهى الرجل عبارته الوحشية ، هبط (أدهم) من سقف الإسطبل ، دون أن يدرى أحدهم من أين جاء ...

وبركلة كالقنبلة ، أصاب وجه الرجل الممسك بالفتاة ، وأطاح به نحو رفاقه ، الذين رفعوا فوهات مدافعهم ، وأحدهم يصرخ :

ــ أطلقوا النار ...

واتسعت عيون العاملين فى المزرعة ذهولاً ...

لقد كانوا سبعة رجال أشداء ، يحملون أسلحة فتَّاكة ...

وكان (أدهم) وحده ...

وبلا سلاح ...

ولكن الموقف كان مذهلاً بحق ...

لقد ركل (أدهم) ذلك الممسك بالفتاة ، ثم وثب من فوقه ، وانقض على الرجال الستة الآخرين ...

وبدا المشهد أشبه بفيلم سينمائى ، يدار بسرعة عرض أكبر ..

ضربات ، ولكمات ، وركلات ... وصراخ وأنين ...

ثم صمت ...

صمت استغرق لحظة واحدة ، انحنى (أدهم) بعدها؛ ليلتقط أحد المدافع الآلية الثقيلة ، فهتف به أحد خصومه ، ولم يفقد وعيه بعد ، وهو يختطف مدفعه :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أخطأت يا هذا .. مدافعنا لا قيمة لها ، إن لم تكن فى أيدينا .

قذفه (أدهم) بالمدفع الثقيل ، بكل قوته ، وهو يقول :

ــ هل ترى هذا ؟!...

ارتطم المدفع برأس الرجل ، وألقاه أرضًا فاقد الوعى ، قبل أن يعتدل (أدهم) ، ويلتفت إلى رجاله ، قائلاً فى غضب :

ــ ما كان عليهم أن يمسوا النساء .

ثم أضاف فى اهتمام :

ــ أأنتم بخير ؟!

قالها ، وهو يمد يده للفتاة السمراء ، التى التقطت يده فى انبهار ، وغمغمت فى امتنان :

ــ مادمت هنا يا سنيور .

أما (بدرو) ، فقد اندفع نحوه ، يقول فى انفعال :

ــ سنيور (صاندو) ... لقد هاجمونا بغتة ، وقتلوا خمسة منا ، و ...

استوقفه (أدهم) ، وهو يربت على ظهره ، قائلاً فى هدوء آسف :

ــ سيدفعون الثمن يا (بدرو) ... أعدك أنهم سيدفعون ثمن كل قطرة دم طاهرة أراقوها .

انبرى أحد العاملين ، يقول :

ــ الأفضل أن تختفى يا سنيور ، لو أنك تستطيع هذا ؛ فهم سيعودون إلى هنا حتمًا ، وذلك الوحش المفترس لا يتردد فى إطلاق النار .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ــ لا بأس يا رجل... أظنهم قد عادوا بالفعل ، ونحن نتحدث هنـــا .

لم يكد ينهى عبارته ، حتى ارتفع صوت البارون من الخارج ، عبر مكبر صوتى قوى ، وهو يقول :

ــ سيد (أدهم) .... إسطبلاتك كلها محاصرة برجالى ، ولا يوجد منفذ واحد للفرار.... ليس حتى لناموسة واحدة ... سأمنحك دقيقة فحسب؛ لتخرج مع الجميع ، رافعين أيديكم فى

Looloo
www.dvd4arab.com

استسلام ، وفور انتهاء الثانية الستين ، سنطلق قاذفات اللهب على المكان ، ونحرقكم جميعًا .

قالها بالأسبانية ، فارتسم الرعب على وجوه الجميع ، وقالت إحدى النساء ، كبيرات السن :

ــ اهرب يا سنيور ، وسنستسلم نحن .

عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ لن يستسلم أحـــد .

ثم التفت إلى (بدرو) ، مكملاً :

ــ لدىَّ خطـــة ...

وارتفع صهيل الخيول مرة أخرى ...

* * *

« هل سمعت ؟!... » ...

قالها قائد السيارة ، التى تقل (منى) و(قدرى) فى توتر ، عندما تنامى إلى مسامعه صوت صفارات الإنذار ، التى انطلقت من المزرعة البعيدة ، فأرهف زميله سمعه ، وهو يغمغم :

ــ هذا يبدو لى أشبه بصفارات إنذار .

أجابه ، وهو يزيد من سرعة السيارة :

ــ إنها كذلك ... هناك شىء ما ، يحدث فى المزرعة .

جذب زميله مدفعه ، وهو يقول فى توتر :

ــ أهو هجوم ما ؟!

فجأة ، أتاهما صوت من خلفهما ، عبر النافذة الصغيرة ، التى تفصلهما عن الصندوق الخلفى ، يقول :

ــ هل تقصدان مزرعة (صاندو) ؟!

ضغط السائق فرامل السيارة فى قوة ، فى حين استدار بمدفعه ، فى حركة عصبية حادة ، نحو (قدرى) ، الذى تراجع بحركة سريعة ، لتنقض قبضة (منى) من النافذة ، على فك زميل السائق ، بلكمة زلزلت كيانه ، وارتج لها رأسه ، فصرخ فى شراسة ، والسائق يستل مدفعه بدوره :

ــ أيها الـــ ....

Looloo
www.dvd4arab.com

قبل أن يتم عبارته برزت يد (قدرى) ، عبر النافذة ، وغرست ذلك الدبوس الذهبى فى عنقه ، فى نفس اللحظة ، التى أدارت فيها (منى) يدها ، وفردت وسطاها وسبابتها ؛ لتضرب بهما عينى السائق فى قوة ...

وصرخ السائق ، مع ذلك الألم الرهيب ، الذى أصاب عينيه ، فى حين ابتعد زميله ، مطلقًا سبابًا ساخطًا ، وهو يحاول انتزاع ذلك الدبوس من عنقه ...

وهنا بدأت أهمية جسد (منى) الضئيل ...

ففى رشاقة مدهشة ، انزلق جسدها ، عبر النافذة الصغيرة ، وقبضت على عنق السائق؛ لتدفع جسدها كله إلى كابينة القيادة ، ثم تركل زميله بكل قوتها فى وجهه ، بقدميها معًا ...

وكانت الركلة شديدة القوة ، مما دفع الرجل خارج السيارة ، ليسقط على رمال الصحراء فى عنف ، فى نفس اللحظة التى تحرك فيها جسدها المرن ، لتسحب المدفع الثقيل من يد السائق ، الذى منعته آلام عينيه من مقاومتها ، ثم تهوى به على رأسه فى قوة ...

وفى حماس ، هتف (قدرى) :

ــ لقد فعلناها .

أتاهما صوت خشن غاضب ، يقول :

ــ ليس بعد .

وعبر باب السيارة المفتـــوح ، رأت زميـــل السائق خارج السيارة المتوقفة ، يصوب إليها مدفعه ، والغضب يملأ كل خلجة من خلجاته ...

وبحركة سريعة ، أدارت (منى) مدفع السائق ...

وضغطت الزناد ...

ولكن شيئًا لم يحدث ...

زناد المدفع الأليكترونى لم يستجب لضغطة سبابتها ...

وابتسم الرجل فى وحشية ...

وأطلق النار ...

* * *

على الرغم من الحصار التام لإسطبلات الخيل ، لم يشعر البارون لحظة بالارتياح ، وهو يجلس داخل سيارة مصفحة ،

Looloo www.Looloo.com

يحيط به رجاله ، واقتربت منه (كاترين) ، وهى تقول ، فى صوت لا يقل عنه توترًا :

ــ بقيت عشر ثوان فحسب .

حمل صوته إليها عصبيته ، وهو يقول :

ــ هل تصورت أننا سننتظر ، حتى نهاية المهلة ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شراسة ، وهو يضيف :

ــ أشعلوا النيران .

التمعت عيناها ، على نحو عجيب ، وكأنه قد أمرها بأمر مبهج ، والتفتت إلى رجالها ، قائلة فى لهجة آمرة :

ــ الآن .

كان (ألنزو) أكثرهم حماسًا ، وأسرعهم استجابة ، وهو يدير مدفعه نحو الإسطبلات ، هاتفًا :

ــ مرحى .

ولكن فجأة ، وقبل أن يضغط زناد مدفعه ، حدثت المفاجأة ...

باب الإسطبلات انفجر فجأة ، على نحو غير متوقع ، وطارت شظاياه فى وجوه الجميع ، مع ارتفاع صهيل الخيول القوى ...

وفى اللحظة نفسها ، اندفعت الخيول ، عبر الباب المحطم ...

اندفعت تنقض على الجميع ، وعلى متنها رجال المزرعة ، يقودهم (أدهم) ، فوق جواد أسود قوى ، وهو يحمل أحد المدافع القوية ، وينهال به على رأس كل من يقف أمامه ، فى حين راحت باقى الخيول تطأ كل من يعترض طريقها ، فى فوضى جعلت (كاترين) تعدو بمدفعها ؛ لتحتمى خلف سيارة البارون المصفحة ، وهى تهتف :

ــ ذلك الشيطان ..

وعلى الرغم من أنه يجلس داخل سيارته المصفحة ، رفع البارون ذراعيه ، ليحمى وجهه ، وانطلقت منه بلا وعى صرخة رعب ، عندما شاهد (أدهم) يندفع نحوه بجواده القوى ، ولكن (أدهم) لكز باطن جواده ، وهو يجذب رقبتـــه فى قوة ، فوثب الجواد العربى الأصيل ، عبر سيارة البارون ، وشاهدته (كاترين) يمر فوقها ، فصرخت بدورها ، وهى تخفض رأسها ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وعندما اعتدلت تفتح عينيها ، كانت تتصور أن يكون (أدهم) منطلقًا بجواده ؛ للابتعاد عن المكان بقدر الإمكان ، إلا أنها فوجئت بهذا الأخيـــر يستدير بجواده ، ثم يعود للانقضاض ، فرفعت مدفعها ، مطلقة صرخة قتالية ، و(أدهم) يهتف :

ـــ ليس من شيمة العرب ضرب النساء .

وقبل أن تضغط زناد مدفعها ، أطاح هو به ، بضربة مباشرة ، من المدفع الذى يحمله ، وهو يكمل فى صرامة :

ـــ عندما يلعبن دور النساء .

سقط مدفعها بعيدًا ، فعادت تحنى رأسها ، وتحميه بذراعيها ، و(أدهم) يثب بجواده مرة أخرى ، عبر سيارة البارون ، الذى راح يصرخ :

ـــ أوقفوه .... أوقفوه بأى ثمن .

كان (ألنزو) يحاول التقاط مدفعه ، الذى فقده مع هجوم الخيل ، عندما صرخ (بدرو) ، من فوق جواد آخر :

ـــ ها هو ذا يا سنيور (صاندو) .

قالها ، مشيرًا إلى (ألنزو) ، فأدار (أدهم) جواده ، واندفع بأقصى سرعته ، نحو هذا الأخير ، صائحًا :

ـــ الخطة يا (بدرو) .

وعلى الرغم من أن (ألنزو) قد التقط مدفعه بالفعل ، إلا أن مشهد (أدهم) وهو ينقض عليه بجواده ، جعله يتراجع فى ذعر ، قبل أن يتمالك نفسه ، ويحاول تصويب مدفعه إليه ...

ولكن فى سباقات السرعة ، يفوز (أدهم) دومًا ...

فقبل أن يكمل (ألنزو) حركته ، كانت أصابع (أدهم) الفولاذية تقبض على عنقه ، وتنتزعه من الأرض بقوة مدهشة ، وهذا الأخير يقول :

ـــ أرقت الكثير من الدماء الطاهرة يا هذا .

جحظت عينا (ألنزو) ، وضرب الهواء بقدميه فى هلع ، وحاول أن يرفع مدفعه مرة أخرى ، مع ضغط أصابع (أدهم)

www.dvd4arab.com

المؤلم على عنقه ، ولكن (أدهم) هوى على جبهته ، بضربة تكفى لتحطيم جدار ، وهو يكمل :

ــ وستدفع الثمن .

دار رأس (ألنزو) ، مع قوة الضربة ، وسقط مدفعه أرضًا ، فرفعه (أدهم) بقوة أكبر ، وألقاه أمامه على الجواد ، قبل أن يستدير مرة أخرى؛ ليواجه سيارة البارون ، الذى راح يصرخ فى رجاله :

ــ ماذا تنتظرون ؟!... اقضوا عليه .

ولكن رجاله كانوا يعانون من مشكلة تكنولوجية عجيبة ...

لقد سقطت مدافعهم ، واختلطت ببعضها البعض ، وعندما التقط كل منهم مدفعًا ، لم تتوافق بصمته مع زناده ...

ولم تنطلق المدافع ...

وفى نفس الوقت ، الـــذى انطلق فيـــه (بدرو) والآخرون ، مبتعدين عن المزرعة ، وفقًا لخطة (أدهم) ، نهضت (كاترين)

من مخبأها ، بكل ما يملأ نفسها من غضب ، وصرخت وهى تصوِّب مدفعها إلى (أدهم) :

ــ مدفعى يعمل .

وأطلقت قاذفة اللهب ...

نحو (أدهم) ...

مباشرة .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

11ـ قبضة العدو ...

ضغط الرجل زناد مدفعه الإليكترونى بالفعل ، وهو يصوبه نحو (منى) فى إحكام ، وهى لا تحمـــل ســـوى مدفع مماثل ، لا يستجيب زناده لبصماتها ...

وانطلقت الرصاصة ...

ولكن قبل انطلاقها ، بجزء من الثانية ، ارتطمت أغلال معدنية بوجه الرجل فى عنف ، فأغلق عينيه على نحو غريزى ، وأطلق صرخة ألم ، مع سباب بذىء بالإسبانية ...

وطاشت رصاصته فى الهواء ...

ولم تضع (منى) ثانية واحدة ، من الفرصة التى أتاحتها لها مبادرة (قدرى) ، فوثبت من مكانها كنمرة شرسة ، وهوت بالمدفع الذى تحمله ، بكل ما تملك من قوة ، على رأس الرجل ، الذى تفجَّرت منه الدماء فى عنف ، وسقط أرضًا كالحجر ...

وعبر نافذة الصندوق الخلفى ، برز (قدرى) فى حذر مغمغمًا :

ـــ هل ربحنا ؟!

أجابته (منى) ، وهى تفحص المدفع الذى تحمله :

ـــ مؤقتًا .

تنهد فى ارتياح ، وهو يقول :

ـــ ابحثى عـــن مفاتيح الصندوق الخلفى إذن ، فلن يمكننى عبور هذه النافذة الضيقة ، كما فعلت أنت .

بحثت (منى) فى جيوب الرجلين فى سرعة ، حتى وجدت المفتاح المطلوب ، ودارت حول السيارة ، وهى تفتح الصندوق ، قائلة :

ـــ هذا يريك أهمية الرشاقة .

غادر (قدرى) الصندوق فى صعوبة ، وهو يقول :

ـــ لاحظى أن مهارتى هى ما أنقذنا ، بغض النظر عن الحجم .

ابتسمت ، وهى تعاونه على مغادرة الصندوق ، قائلة :

ـــ ليس أمامى سوى الاعتراف بهذا .

لهث وهو يقف على رمال الصحراء ، كما لو أنه قد بذل جهدًا رهيبًا ، فاتسعت ابتسامتها ، وهى تقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لقد كنت بطل هذه الجولة .

تهللت أساريره ، وهو يقول :

ــ حقًا !

ربتت على كتفه المكتظة ، وهى تقول :

ــ ولكن الحرب لم تضع أوزارها بعد .

سألها ، وهو يشير إلى المدفع الذى تحمله :

ــ لماذا لم ينطلق هذا ؟!

أجابته ، وهى تنتزع الرجـل فاقـد الوعى ، من خلف عجلة القيادة :

ــ إنه نوع شديد التطور من الأسلحة ، لا يعمل إلا إذا تعرف بصمة صاحبه ، وهو مزود بجهاز إضافى لهذا .

قال فى اهتمام ، وهو يلتقط المدفع منها :

ــ دعينى ألقى نظرة .

ناولته إياه ، قبل أن تحتل مقعد القيادة ، قائلة :

ــ المهم أن نبتعد الآن عن هنا ؛ فمع أسلحة كهذه ، أظن أن (أدهم) يواجه خطرًا مضاعفًا .

غمغم ، وهو يستقل المقعد المجاور لها ، مواصلاً فحص المدفع :

ــ لا شك عندى فى هذا .

ثم أضافت فى ثقة ، وهى تنطلق بالسيارة :

ــ ولكن (أدهم) مازال يستطيع رعاية شئونه .

فى نفس اللحظة التى نطقها ، كانت (كاترين) تطلق نيران قاذفة اللهب فى مدفعها ، نحو (أدهم) مباشرة ...

* * *

من حكمة الله (سبحانه وتعالى) ، أن كل مخلوقات الأرض ، بلا استثناء ، تخاف النار ، وترتجف لمجرد مرآها ...

وعندما اختارت (كاترين) أن تطلق قاذفة اللهب ، وليس الرصاصات من مدفعها ، المزود بكليهما ، كانت تدرك هذه الحقيقة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وكانت تجيد التصويب ، على نحو مدهش ....

ومن الفوهة الإضافية لمدفعها ، انطلق لسان من النار ، نحو (أدهم) مباشرة ...

ولكن (أدهم) تحرك على نحو مدهش ...

لقد جذب (ألنزو) من عنقه ، ورفعه بقوة مدهشة ، ووضعه أمام لسان النار مباشرة ...

وانطلقت صرخة هائلة من ذلك الوحش ، عندما اشتعل جسده كله دفعة واحدة ، أثر طلقة قاذفة اللهب ...

وفى نفس لحظة اشتعال جسده ، ألقاه (أدهم) بعيدًا ، ثم انطلق بجواده الأسود المفضل ، الذى أحسن تدريبه ، نحو سيارة البارون ، التى تختفى خلفها (كاترين) ، وهو يقول فى حزم :

ــ أخبرتك أننى أبغض ضرب النساء .

وثب بجواده فوق سيارة البارون ، فى نفس الوقت الذى أدارت فيه (كاترين) فوهة مدفعها نحوه؛ لتطلق لسان لهب آخر ، ولكنه قبض على شعرها الطويل ، وهو يضيف فى صرامة :

ــ لو تصرفن كنساء .

امتزجت صرختها بصرخات (ألنزو) المشتعل ، عندما رفعها (أدهم) من شعرها بقوة ، ثم ضرب بها سيارة البارون فى عنف ، قبل حتى أن تستقر قوائم جواده أرضًا ، وانطلق يعدو بجواده الأسود ، ليغيب كلاهما فى قلب الليل ، فى نفس الوقت ، الذى حاول فيه بعض رجـــال البارون إنقـــاذ قائدهم (ألنزو) ، بوساطة الرمال ، التى تحيط بهم ...

أما (كاترين) ، فقد عجزت لحظات عن استعادة توازنها ، مع عنف الضربة ، وحاولت أن تنهض ، وهى تصرخ بكل غضبها :

ــ هذا المصرى اللعين ...

صرخ البارون يقاطعها :

ــ هل ستتركونه يفر ؟!

كان الرجال قـــد نجحوا فى إطفاء نيـــران (ألنزو) ، الذى احترق شعره ، وجانب من وجهه ، وفقد الوعى من شدة الألم ، عندما هتفت (كاترين) :

ــ مستحيل !... سننطلق خلفه فورًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم صرخت فى الرجال :

ــ هيا ... سنطارده بخمس سيارت ، وجيش منكم ... هيا .

تردد الرجال لحظات ، خاصة أن كلاً منهم لم يعثر على مدفعه بعد ، فصرخت مرة أخرى فى غضب هادر :

ــ قلت هيا .

راقب البارون فى عصـبية سـيارت الجيـب الخمس ، التى انطلقت خلف (أدهم) ، فى ظلام صحراء (المكسيك) ، وغادر سيارته فى حذر ، وهو يقول بنفس العصبية :

ــ هل فر الجميع ؟!

أجابه أحدهم فى توتر :

ــ لقد باغتونا أيها البارون ، و ...

صرخ يقاطعه بكل غضبه وانفعاله :

ــ أغبياء .

ثم حاول السيطرة على أعصابه ، وهو يضيف :

ــ ولكنهم لن يذهبوا بعيدًا ... الصحراء حولنا مترامية الأطراف ، ولدينا ثلاث طائرات هليوكوبتر ، مزودة بكواشف ضوئية قوية ... سنرسل واحدة لمساندة (كاترين) وفريقها ، واثنين للبحث عن الهاربين ...

سأله أحد الرجال فى حذر :

ــ وماذا عن القائد (ألنزو) ؟!

ألقى نظرة ازدراء على قائد قواته الفاقد الوعى ، وأجاب فى مقت :

ــ لم يعد يصلح للقيادة .

ثم أشار إلى آخر ، مستطردًا فى حزم :

ــ أنت القائد الآن يا (فرناندو) .

تألقت عينا (فرناندو) ، وهو يتخذ وقفة عسكرية ، قائلاً فى ابتهاج ، لم يستطع إخفاءه :

ــ كيف أثبت لك أننى جدير بالقيادة يا سيدى البارون ؟!

مال البارون نحوه ، وقال بكل شراسة :

ــ اعثر عليهم .

Looloo
www.dvd4arab.com

أدى (فرناندو) تحية عسكرية قوية ، وكأنما يثبت ولاءه ، فمط البارون شفتيه ، وغمغم بالألمانية :

ــ أغبياء .

فى نفس اللحظة ، كانت (كاترين) تقود سيارات الجيب الخمسة ، التى تضم دستتين من الرجال ، عبر صحراء (المكسيك) ، وهى تقول فى صرامة :

ــ أجهزتنا المتطورة سترصد وقع حوافر جواده ، ورادارنا سيحدد موقعه بدقة .

قال أحد رجالها فى حزم :

ــ ستكون أسعد لحظات حياتى ، عندما أفرغ رصاصات مدفعى فى رأسه .

التفتت إليه فى حدة :

ــ كلا .

نظر إليها الرجل فى دهشة ، فتابعت بنفس الحدة :

ــ لن أرضى بنهاية سهلة كهذه .

وتألقت عيناها ، فى وحشـــية تتعـــارض مع جمالها ، وهى تضيف :

ــ أريده أن يموت ببطء ... بمنتهى البطء .

التقطت أجهزة سيارتها ، فى نفس اللحظة ، وقع حوافر جواد (أدهم) ، فسرى الانفعال فى كيانها ، وهى تسأل فنى الرادار :

ــ هل ترصده ؟!

أجابها ، بعد لحظة من التردد :

ــ نعم ... ولكن ...

لم يتم عبارته ، وكأنه لا يجد ما يضيفه ، فصاحت به فى حدة :

ــ ولكن ماذا ؟!

تردد لحظة أخرى ؛ خشية رد فعلها ، ثم غمغم فى حذر :

ــ ما أرصده هو جواد منفرد ، ينطلق وحده فى الصحراء ...

واصل تردده لحظة أخرى ، قبل أن يضيف :

ــ ولكن هناك شىء آخر ...

Looloo
www.dvd4arab.com

انعقد حاجباها الجميلين فى شدة ، وهى تهبط؛ لتلقى نظرة على شاشة رادار السيارة ، قائلة فى حدة :

ــ ماذا تعنى ؟!

لم تكن بحاجة حقًا إلى إجابة الرجل ، وهى تتطلع إلى الشاشة الخضراء ، التى بدا عليها جواد منفرد ، ينطلق وحده فى الصحراء ، فقالت فى حدة :

ــ ما الذى يعنيه هذا ؟!

وهنا قفز الجواب المفزع إلى ذهنها ...

ويا له من جواب !...

* * *

لم يشعر البارون فى حياته كلها بالغضب ، مثلما شعر به ، وهو يعود إلى المزرعة ، وإلى حجرة مكتب (أدهم) الخاصة ..

لقد تصور ، عندما ألقى القبض عليه ، ووضعه فى حجرة مجهزة بأحدث ما يمكن للمال شراؤه ، من تكنولوجيا أمنية ، أنه قد نجح فى تحقيق ما فشلت فيه أجهزة مخابرات كاملة ، وقضى على أسطورة (رجل المستحيل) ...

وعلى الرغم من أنه قد قرأ ملف (أدهم) الضخم بالكامل ، أكثر من ثلاث مرات ، إلا أنه لم يكن يتصور أنه ذكى واسع الحيلة إلى هذا الحد ....

وكان هذا يطعن غروره فى مقتل ...

ويؤلمه ...

وبشدة ...

« لماذا تأخرت ؟!... » ...

فاجأه صوت (أدهم) الساخر ، فور دخوله المكتب ، فالتفت إلى مصدره بأقصى سرعة ، إلا أن ذراع (أدهم) كانت أسرع ، وهى تحيط بعنقه ، ويده الأخرى تلوى ذراعه خلف ظهره ، وهو يواصل بنفس السخرية :

ــ من أين تنتقى رجالك بالضبط أيها البـــارون ؟!... إنهم لا يعلمون حتى أبسط قواعد مناورة الكر والفر .

هتف البارون ، فى صوت عصبى مختنق :

ــ ولكن كيف ؟!... لقد شاهدتك تبتعد بجوادك !!..

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه (أدهم) ، وهـــو يشدد من ضغط ذراعه على عنقه ، ويغلق الباب خلفهما بقدمه :

ــ ولكنك ورجالك الحمقى ، لم تشاهدو ما حدث بعدها ، وتصورتم فحسب ، أن الفرار هو هدفى الرئيسى .

امتـــلأت نفس البـــارون بالغضـــب ، مع عبارة (أدهم) الأخيرة ...

كيف أخطأ فى هذا ، وهو الذى أخبر (كاترين) منذ قليل ، أن أمثال (أدهم) لا يفرون ...

بل يقاتلون ...

وحتى آخر رمق ...

ولقـــد تضاعف غضبه وغيظـــه ألـــف مـــرة ، عندما أضاف (أدهم) ساخرًا :

ــ والآن لقد نسيت عد الجولات ... أهى الرابعة أم الخامسة .

غمغم البارون مختنقًا :

ــ المباراة لم تنته بعد .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ــ لماذا يلوح لى أنك تكرر عباراتك دومًا يا هذا ؟!

لم يكن البارون يطيق الموقف ، ولكنه بذل جهدًا ، ليقاوم ذلك الاختناق ، مع اعتصار ذراع (أدهم) لعنقه ، وهو يقول :

ــ ماذا تريد يا سيد (أدهم) ؟!

أجابه (أدهم) بنفس السخرية :

ــ ياله من سؤال !... أريد مزرعتى أيها المحتل .

قال البارون فى صعوبة :

ــ وماذا لو ضاعفت العرض مرتين ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ــ عندئذ سأضطر لقتلك ، وهذا يخالف مبادئى ، ولن تربح عندئذ سوى أمتار قليلة ، تكفى لدفن بقاياك فحسب ... وحتى هذا ، لن يكون فى مزرعتى .

صمت البارون لحظات ، ثم قال :

ــ هل تتصور أنك غير قابل للهزيمة يا سيد (أدهم) ؟!

www.dvd4arab.com

شدد (أدهم) من ضغط ذراعه على عنقه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ بل أتصور أنك لست ممن يعترفون بهزيمتهم يا هذا .

قال البارون فى حدة ، على الرغم من آلام عنقه :

ـ هزيمة ؟!... كلا يا رجل ... الهزيمة مازالت بعيدة ، أكثر مما تتصور .

مع آخر كلماته ، اقتحمت (كاترين) مع فريقها حجرة المكتب فجأة ، وهتفت بكل انفعالها ، والجميع يصوب مدافعه إلى (أدهم) :

ـ كما توقعت تمامًا .

أدار (أدهم) البارون فى سرعة ، دون أن يفلت عنقه ، ليواجه مدافع رجاله ، وهو يقول :

ـ عظيم أيتها الشرسة ... لقد أثبت أنك أكثر براعة من زعيمك .

قالت فى غيظ :

ـ براعتى لا تتمثل فى كشف خدعتك فحسب أيها المصرى ، ولكن فى العثـــور أيضًا على الســـلاح الوحيـــد ، الذى لا يمكنك مقاومته .

قال فى سخرية :

ـ وهو ؟!

أشارت بيدها لرجالها ، وهى تجيب :

ـ هذان .

ومع قولها ، دفع رجاله شخصين مقيدين بإحكام إلى داخل حجرة المكتب ....

وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ...

لقد كانا بالفعل نقطة ضعفه الوحيدة ...

والسلاح الوحيد ، القادر على هزيمته ...

زميلته وحبيبته ، وصديق عمره ...

(منى) ....

و(قدرى) ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولثوان ، ران على المكان كله صـــمت رهيب ، قبل أن تغمغم (منى) فى مرارة :

ــ سامحنى .... لم أستطع طاعة أوامرك .

وغمغم (قدرى) فى إنهاك :

ــ لقد أخبرتها .

بدت (كاترين) سعيدة بانتصارها ، وهى تقول :

ــ والآن ماذا يا سيد (أدهم) ؟!

بدا (أدهم) شديد الصرامة ، وهو يقول :

ــ مازلت أسيطر على زعيمك ، ويمكننى تحويله إلى زعيم سابق ، بضغطة إضافية من ذراعى .

غمغم البارون فى صعوبة :

ــ سيعنى هذا مصرع أقرب شخصين إليك .

أجابه (أدهم) فى قسوة :

ــ وهل من المفترض أن أتصور أنكم ستبقون على حياة ثلاثتنا ، لو أننى استسلمت ؟!

رفعت (منى) رأسها ، وهى تقول فى حزم :

ــ لا تستسلم يا(أدهم) .... أنت على حق ... مادمنا وقعنا فى قبضتهم ، فسيقتلوننا على أية حال .

جذبتها (كاترين) من شعرها فى شراسة ، وهى تقول :

ــ سأمهلك دقيقة واحدة يا سيد (أدهم)؛ لتتخذ قرارك ، وبعدها سأطلق النار على رأس أحدهما ، ولك أن تختار أيهما .

قال (قدرى) فى سرعة :

ــ أنا .

ووجد (أدهم) نفسه أمام خيار عسير للغاية ...

دراسته لشخصية (كاترين) ، تؤكد أنه ليس تهديدًا أجوف .. إنها لن تتردد فى إطلاق النار على أحدهما بالفعل ....

(منى) ....

أو (قدرى) ...

وهو غير مستعد لخسارة أحدهما ..

Looloo
www.dvd4arab.com

مهما كان الثمن ....

ولكن استسلامه قد يعنى القضاء على كليهما ...

فماذا يمكنه أن يفعل ، فى مثل هذا الموقف العصيب ؟!...

ماذا ؟!

* * *

12ـ الخيـــار الصـعب ...

« رأس الأفعى ... » ...

نطقها (أدهم) فى صرامة شديدة ، جعلت (كاترين) تعقد حاجبيها فى شدة ، خاصة وأنه قد نطقها بالإسبانية ، وكأنه يتعمّد أن يستوعبها الجميع ، فهمهم البارون بكلمات مختنقة ، مع ضغط ذراع (أدهم) الشديد على عنقه ، فى حين تابع هذا الأخير ، وقد أضيفت قسوة مخيفة إلى صرامته :

ــ قاعدة تعلمناها فى عالمى أيتها الحقيرة ... أن رأس الأفعى هى مكمن كل قوتها .

قالت (كاترين) فى شراسة ، وهى تلصق فوهة مدفعها بصدغ (منى) :

ــ الوقت يمضى بسرعة أيها المصرى .

أجابها (أدهم) فى لهجة مخيفة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ بالنسبة لمن ؟!... بارونك الحقير هذا قرأ ملفى جيدًا ، وهو يدرك الآن أن كل كلمة أنطق بها ، تعنى منطوقها بالضبط ، وإنه لا يوجد حرف أجوف واحد فيها .

قالت فى شراسة :

ـ ثلاثون ثانية تبقت .

لم يبد أن عبارتها أقلقته ، وهو يتابع بنفس اللهجة :

ـ أنت تعرضين إما قتل أحد رفاقى ، أو موتنا جميعًا ، بعد وقوعنا فى قبضتكم ، ولكننى أقدم لك عرضًا آخر .

جذبت إبرة مدفعها ، وهى تقول ، فى شراسة أكبر :

ـ خمس وعشرون ثانية .

واصل ، متجاهلاً توقيتها :

ـ إن مسست شعرة واحدة ، من رفيقىَ ، سأحطم عنق بارونك هذا أمامك ، كما لو كان عنق دجاجة ضعيفة .

ثم أدار عينيه فى وجوه الرجال المحيطين بها ، متابعًا

ـ وهذا سيعنى مصرع مموّلكم الأساسى ، وضياع كل الأموال ، التى ينفقها عليكم ، من أجل بناء إمبراطوريته الوهمية ، وعندئذ ، لن يكون هناك مبرر للاستمرار.

جحظت عينا البارون ، وراح يشير لرجاله بذراعيه ، فى حين أدركت (كاترين) ما يحاول (أدهم) فعله ، فصرخت :

ـ خمس عشرة ثانية أيها المصرى .

ضغط (أدهم) عنق البارون أكثر ، وهو يقول بمنتهى الصرامة :

ـ لقد قدمت عرضى .

وبصوت مختنق ، قال البارون ، وهو يضرب الهواء بذراعيه فى استماتة :

ـ أوقفوها .

شـــعرت (كاترين) بغضـــب هـــادر ، وضغطت زناد مدفعها بالفعل ...

وانطلقت الرصاصة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولكن قبل انطلاق رصاصتها بثانية واحدة ، جذب (فرناندو) معصمها فى قوة ، وشعرت (منى) بلفح نيران الطلقة ، على مسافة سنتيمترات من رأسها ، وبدوى كاد يصيب أذنها بالصمم ، و(فرناندو) يصرخ فى (كاترين) :

ــ ألا تعنيك حياة البارون ؟!

قاومته (كاترين) فى شراسة وحشية ، وهى تصرخ :

ــ المصرى يخدعكم .

تكالب الرجال للسيطرة عليها ، وانتزاع المدفع منها ، وراحت هى تقاومهم فى شراسة مدهشة ، حتى خفف (أدهم) من ضغط ذراعه على عنق البارون ، الذى شهق فى ألم ، وملأ صدره بالهواء فى لهفة ، قبل أن يهتف :

ــ كفى .

توقف الجميع دفعة واحدة مع هتافه ، والتفتوا إليه ...

حتى (كاترين) نفسها ...

وفى غضب هادر ، قال البارون :

ــ غضبك فاق ولاءك يا (كاترين) .

صرخت ، مستعيدة مقاومتها :

ــ المصرى يخدعك .

قال فى عصبية :

ــ ملفه يقول : عكس هذا .

صرخت :

ــ ملفه يقول : إنه لا يقتل أبدًا .

صرخ بدوره فى حدة :

ــ ولا يحنث بكلمة .

ثم حاول أن يتماسك ، وهو يضيف بلهجة آمرة :

ــ (فرناندو) ... خذ سلاح (كاترين) ، وألغ تعرف بصمتها ، حتى تتعلم كيف تستخدمه فى المستقبل .

صرخت (كاترين) فى وحشية ، فانعقد حاجباه وهو يستطرد :

www.dvd4arab.com

ـ وأطلق النـــار على رأسها الجميـــل ، إذا ما واصلت هذا الصراخ المزعج .

اتسعت عينا (كاترين) فى هلع ، فى حين جذب (فرناندو) إبرة مسدسه ، وهو يقول فى ابتهاج واضح :

ـ أمرك يا سيدى البارون .

أطبقت (كاترين) شفتيها ، وهى ترمق البارون بنظرة ساخطة ، فى حين قال هو ، وقد استعاد الكثير من هدوئه :

ـ وحلوا قيود ضيفينا الجديدين ، وأخبر (ماريا) ، أنه هناك من سينضم إلى مائدة إفطارى فى الصباح .

اندفع (قدرى) يسأل فى لهفة :

ـ ألا يمكننا تناول بعض الطعام الآن ؟!

ابتسم البارون ، قائلاً :

ـ بالطبع يا عزيزى (قدرى) .... لقد قرأت الكثير عن مواهبك وقدراتك الفنية الفذة ... وعن نهمك للطعام بالطبع ، وأظن أنه لدىَّ عرض مدهش لك ، سيتيح لك تناول طعامك ، فى أفخم مطاعم العالم ، ما بقى لك من العمر .

قال (أدهم) فى صرامة ، وهو يعيد الضغط على عنقه :

ـ لن يقبل أى منا عروضك يا هذا .

بدا البارون هادئًا هذه المرة ، وهو يقول :

ـ ذراعك تؤلمنى يا سيد (أدهم) ، وأنا أفكر فى فتح صفحة جديدة معكم .

قالت (منى) ، وهى تتحسس معصميها ، عد فك قيودها :

ـ ورجالك يصوبون مدافعهم إلينا .

صمت لحظة ، ثم قال :

ـ أنـــت على حق يا سنيوريتا ... خـــذ الرجـــال إلى الخارج يا (فرناندو) ، واتركونى مع أصدقائى الجدد هنا .

قالت (كاترين) فى عصبية :

ـ أنت ترتكب أكبر خطأ فى حياتك .

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يهتف :

ـ هيـــا .

Looloo
www.dvd4arab.com

تردد (فرناندو) لحظة ، ثم تراجع مع رجاله ، و(كاترين) تهتف :

ــ لا تقل أننى لم أحذرك .

وما إن أغلق (فرناندو) الباب خلفه ، وبقى البارون وحده ، مع (أدهم) و(منى) و(قدرى) ، حتى قال فى هدوء عجيب :

ــ ذراعك يا سيد (أدهم) .

أفلت (أدهم) عنقه ، ولكنه ظل ممسكًا بذراعه خلف ظهره ، وهتفت (منى) فى سعادة :

ــ لقد فعلتها يا (أدهم) .

ولكن (أدهم) استقبل سعادتها بصرامة باردة ، وهو يسألها بالعربية :

ــ كيف ظفروا بكما ؟!

أدركت غضبه ، فتراجعت مغمغمة :

ــ إنهم يمتلكون تكنولوجيا فائقة .

واندفع (قدرى) يقول :

ــ سأخبرك .

وبدأ يروى ما حدث ...

* * *

كانت (منى) تنطلق بالسيارة ، وسط ظلام صحراء (المكسيك) ، عندما سمعت ذلك الانفجار من بعيد ، فزادت من سرعة السيارة ، وهى تقول فى عصبية :

ــ أراهن أنه (أدهم) .

تمتم (قدرى) فى توتر شديد :

ــ مازلت أصر على أننا قد أخطأنا ، عندما خالفنا أوامره .

أجابته ، وهى تواصل الانطلاق بالسيارة :

ــ لا يوجد أى خطأ هنا ... إنها ...

قبل أن تتم عبارتها ، ظهرت سيارات الجيب الخمس ، فجأة ، من قلب الظلام ، وفى مقدمتها سيارة (كاترين) ، التى قالت لفنى الرادار فى صرامة :

ــ لقد كنت على حق ... إنها سيارتنا .

Looloo
www.dvd4arab.com

كانت تضع على عينيها منظارًا خاصًا بالرؤية الليلية ، يجعلها ترى (منى) و(قدرى) داخل مقصورة فى وضوح ، فأردفت :

ــ وبها الهدية ، التى كان ينتظرها البارون .

بإشارة من يدها ، اتخذت سيارات الجيب الخمس تكنيكًا انتشاريًا هجوميًا ، ورأتهم (منى) يحاولون محاصرة سيارتها ، فأدارت عجلة القيادة فى سرعة ، وهى تهتف برفيقها :

ــ انخفض .

سمع (قدرى) الكلمة واستوعبها ، ولكنه لم يدر كيف يضعها موضع التنفيذ ، مع كرشه الضخم ، الذى يلتصق بتابلوه السيارة بالكاد ، فاكتفى بالانحناء ، وهو يهتف :

ــ قلت لك : إننا قد أخطأنا .

لم تنتبه هى لعبارته ، وهى تحاول بسيارتها الثقيلة مناورة السيارات الخمس القوية ، التى التفت حولها بالفعل ، وفوجئت بصوت (كاترين) ، يأتى عبر جهاز الاتصال بالسيارة ، وهى تقول فى صرامة :

ــ هناك دستتان من المدافع القوية ، مصوبة إلى سيارتك أيتها المصرية ... لا فائدة من المناورة.

لم تبال (منى) بقولها ، وهى تواصل الانطلاق بالسيارة ، فتابعت (كاترين) ، فى لهجة حملت الكثير من السخرية هذه المرة :

ــ لا بأس ... دعينى أعرض عليك إذن بعض مهارتنا .

مع قوتها ، توقف محرك سيارة (منى) فجأة ، وانطفأت كل أنوارها ، وراحت تواصل حركتها فى تباطؤ منتظم ، و(كاترين) تواصل بدورها ، ولهجتها تزداد سخرية :

ــ إنك تستقلين واحدة من سياراتنا ، وكلها مزودة بمستقبل للتحكم عن بعد ، وبوسائل أمن أخرى ، ستختبرينها بنفسك ، بعد لحظات .

شعر (قدرى) باليأس ، عندما توقفت السيارة فى النهاية ، وأحاطت بها الســيارات الخمس ، ورفع كــل رجالها مدافعهم نحوها ، فضغطت (منى) زر الاتصال فى الجهاز ، وقالت فى حــدة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وهل وسائلكم هى إطلاق النار فحسب .

أجابتها (كاترين) ، وقد امتزجت شراستها بسخريتها :

ــ بل هى أكثر تطورًا .

مع نهاية قولها ، سرى تيار كهربى فى مقصورة القيادة كلها ، جعـل (منى) و (قـدرى) يرتجفان فى قوة ، فى حين علت ضحكات (كاترين) الظافرة ، وراحت تتردد فى صحراء وجبال (المكسيك)...

بمنتهى السخرية ...

ومنتهى الشراسة ...

* * *

« ثم أفقنا ، لنجد أنفسنا مكبلين بالأغلال هنا ... » ..

نطق (قدرى) العبارة فى انفعال ، واستقبلها (أدهم) بنفس الوجه الجامد الصارم ، فى حين قال البارون :

ــ هل يمكننا أن نبدأ صفحتنا الجديدة أيها السادة ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ــ لا داع لاستخدام صيغة الجمع يا رجل ؛ فرفيقىَّ سيغادران المكان ، قبل أن نبدأ حديثنا .

غمغم (قدرى) فى ضيق :

ــ وماذا عن الطعام ؟!

رمقت (منى) (قدرى) بنظرة صارمة ، جعلته يقول مرتبكًا :

ــ لن يتعارض هذا مع الخطة ... أليس كذلك ؟!

ابتســم البارون لحوارهما ، ابتسامة قط ، وجـد سبيلاً إلى فريسته ، وقال :

ــ سيد (أدهم) ... دعنا نتحاور بالمنطق ... كيف يمكننى أن أسمح لهما بالرحيل ، وهما سلاح تفاوضى الوحيد؟!... ماذا يمكن أن أربح عندئذ ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ــ حياتك .

نطقها ، وهو يلوى ذراع البارون أكثر ، على نحو مؤلم ، فتأوه الرجل لحظة ، ثم قال فى توتر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وماذا عن حياتك أنت ؟!

لم يفهم (أدهم) ما يعنيه السؤال ، و ...

ولكن فجأة ، بدأ رأس (قدرى) يدور على نحو عجيب ، وتخاذلت قدماه ، فحاول الاستناد إلى أى شىء ، وهو يغمغم فى ضعف :

ــ (أدهم) ... إننى ...

لم يستطع إتمام عبارته ، وهو يفقد توازنه،ويسقط على ركبتيه أرضًا ، فى نفس الوقت الذى تهالكت فيه (منى) ، على نحو ملحوظ ، وهى تقول فى ضعف :

ــ إنها ليست مشكلة الطعام .

قالتها ، ثم ألقت نفسها على مقعد قريب ، وكأنما لا تقوى ساقاها على احتمالها ، فى حين بدأ ذلك الدوار يكتنف رأس (أدهم) ، الذى عاد يحيط عنق البارون بذراعه ، وهو يقول فى غضب :

ــ ماذا فعلت أيها التعس ؟!

قالها ، فى نفس اللحظة ، التى سقط فيها (قدرى) على وجه ، وأسبلت (منى) جفنيها فى انهيار عجيب ، وبدأ (أدهم) يشعر بضعف حقيقى ، حتى إن ذراعه لم تعد بالقوة الكافية ، لاعتصار عنق البارون ، الذى ظل قويًا متماسكًا ، وهو يقول :

ــ المشكلة أنك لم تقدر وسائلنا الأمنية حق قدرها ، يا سيد (أدهم) ، فالواقع أنه ليست لدينا (ماريا) هنا ... إنها مديرة منزلى هناك... فى (مانهاتن)... ولكن العبارة كانت تعنى استخدام غاز خفى خاص ...ابتكرته القريحة الألمانية ، إبان الحرب العالمية الثانية ، وتم تطويره فى معاملى الخاصة ، على نحو مدهش ... لقد أطلقــه رجالى فى حجرة المكتب ، فور إغلاقهم بابه ، وهو يتسلل إليك ، دون أن تشعر ، فتستنشقه ، ويملأ رئتيك ، ويسرى فى دمك ، ويتصاعد إلى مخك ، فيفقدك السيطرة على عضلاتك فى البداية .

قالها ، وهو يدفع ذراع (أدهم) ؛ لتخليص عنقه منها ، ثم ابتسم قائلاً :

ــ أرأيت ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

شعر (أدهم) بضعفه يتزايد ، فى حين كان البارون يتحرَّك فى مكتبه بحيوية ، متابعًا فى ظفر :

ــ وبعدها يتهالك جسدك كله ... وتسيطر عليك رغبة ملحة فى النوم ، تعجز حتى الأفيال عن مقاومتها .

كان الرجل صادقًا تمامًا فيما يقول؛ فقد شعر (أدهم) أنه يفتح عينيه بالكاد ، فقاد نفسه إلى مقعد قريب ، تهاوى فوقه فى ضعف ، ورأى بعينين نصف مغلقتين ، البارون يعود إلى ما خلف مكتبه ، ويستقر فوقه ، بعينين متألقتين ظفرًا ، وهو يقول :

ــ لا تقاوم يا سيد (أدهم) ... أو يا سنيور (صاندو) ... حتى أنت لن يمكنك المقاومة؛ فمهما بلغت قدراتك وبراعتك ، مازلت تمتلك جسدًا بشريًا ، بكل اجهزته الطبيعية ، هيا .... استسلم يا سنيور (صاندو) ... استسلم .

بدا صوت البارون ، وكأنه يأتى من بعيد ، ويغوص فى بئر عميقة ...

ويغوص ...

ويغوص ...

ثم أثبت جسد (أدهم) أن البارون على حق ...

إنه فى النهاية جسد بشرى ...

جسد انهار ...

تمامًا ...

* * *

شعر (ألنزو) بسخط شديد ، عندما استعاد وعيه ، مع كل آلام جسده ووجه ، وتحول سخطه هذا إلى غضب هادر ، مع تحسسه لرأسه ، الذى فقد معظم شعره ، وجانب وجهه المحترق ، وأطلق صرخة غضب وحشية ، وهو يبحث عن سلاحه ، قبل أن يأتيه صوت (كاترين) ، قائلة :

ــ مازلت أراك وسيمًا ، يا عزيزى (ألنزو) .

التفت إليها فى وحشية ، صارخًا :

ــ أخبرينى أنكم قد مزقتم ذلك المصرى تمزيقًا .

مطت شفتيها الجميلتين ، قائلة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ البارون نطق عبارة السر ، لاستخدام غاز (ماينهايم) ، وأظنهم قد ظفروا به الآن مع رفيقيه .

سألها فى شراسة :

ـ أى رفيقين ؟!

هزت كتفيها ، وألقت شعرها الطويل خلف ظهرها ، فى حركة أنثوية ، وهى تجيب :

ـ إنها قصة طويلة ، سأرويها لك يا عزيزى ، ولكن لدىَّ الآن ما هو أكثر أهمية ، لأتحدث معك بشأنه .

ضاق ما بين حاجبيه ، فى عصبية شديدة ، فمالت نحوه ، ورسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة عذبة ، وهى تسأله :

ـ قل لى يا عزيزى : أيهما أكثر أهمية بالنسبة إليك ... نقود البارون ، أم الانتقام ممن فعل بك هذا ؟!

زمجر كوحش مفترس ، وهو يجيب :

ـ النقود يمكن أن تجديها عند أى مخدوم آخر .

اتسعت ابتسامتها ، وهى تقول :

ـ من الرائع أن نتفـق يا عزيزى ، فللانتقام لـذة خاصة ، لا يدرك متعتها سوى من على شاكلتنا .

زمجر مرة أخرى ، وهو يسألها فى شراسة :

ـ ماذا تريدين بالضبط يا (كاترين) ؟!

اتخذت جلسة شديدة الإغراء أمامه ، وهى تقول :

ـ العمل مع البارون كان ممتعًا فى البداية ، ولكن جنون التفوق والسيطرة ، جعل العمل مملاً ، وهو الآن يرتكب كومة من الأخطاء ، بإصراره على العمل بمعيار مزدوج؛ فهو يريد أن يكون زعيمًا قاسيًا كأجداده ، وسيدًا مهذبًا فى الوقت ذاته؛ ليتفق مع أصوله العريقة .

مرة ثالثة ، زمجر (ألنزو) فى شراسة ، قائلاً :

ـ هل ستواصلين هذا الحديث الممل طويلاً ؟!

مالت نحوه ، قائلة :

ـ البارون لم يهتم بعلاجك ، عندما سقطت أمام عينيه ، وعزلك من قيادة الفريق ، ووضع بدلاً منك ذلك الغبى (فرناندو) ، الذى أمره بأن يقتلنى بلا تردد ، لو صرخت أحذره مما يفعل .

www.dvd4arab.com

كانت حروقه تؤلمه بشدة ، فصاح بها فى حدة :

ــ لم أصل إلى ما تريدين بعد .

ابتسمت ابتسامة أكثر إغراءً ، وقالت :

ــ أسلوب البارون هذا ، سيجعله يخسر فى النهاية ، وكلانا يعلم هذا ، والسؤال هو : كيف نضمن أكبر قدر من الربح ، قبل أن يحدث هذا ؟!

قال فى عصبية شديدة :

ــ أنت من وضع الخطة .

صمتت لحظة ؛ لتمنح كلماتها أكبر قد ممكن من الأهمية ، قبل أن تضيف فى حزم :

ــ سنحتل المزرعة ، ونقتل البارون .

صدمته الفكرة لحظات ، ثم لم يلبث أن عقد ما تبقى من حاجبيه فى شدة ، وراح يدرس كلماتها القليلة فى توتر ، قبل أن يسألها :

ــ وكيف هذا ؟!

تألقت عيناها فى ظفر ، وهى تجيب :

ــ سأخبرك .

وتحالف الشيطانان معًا ...

* * *

« لم نعثر على أى أثر لهم يا سيدى البارون .. » ..

هذه الكلمات ، هى أول ما التقطته أذنا (أدهم) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء...

ودون الحاجة إلى حواسه كاملة ، أدرك أنه مقيد بإحكام ، بأغلال فولاذية شديدة القوة ، إلى عمود من الأسمنت ، فى جانب حجرة مكتبه الخاص ، وهذا يشمل معصميه خلف ظهره ، وقدميه أيضًا ، وعلى الرغم من أن رأسه مازال يدور ، سمع البارون فى وضوح ، وهو يقول فى غضب :

ــ أى قول سخيف هذا ؟!... إننا نتحدّث عن أكثر من ثلاثين رجلاً وامرأة ، فى صحراء جرداء ، تبعد أكثر من ثلاثمائة كيلو متر ، عن أقرب طريق ممهـد ، فكيف تعجز كل وسائلنا عن رصدهم ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه الرجل فى توتر :

ــ لقــد انطلقنــا خلفهــم فورًا يا سيدى البارون ، وجبنا المنطقة كلها ، طــوال خمس ساعات ، وحتى أشرقت الشمس ، ولم نعثــر لهــم على أدنى أثــر ، وكأنما انشقت الصحراء وابتلعتهم .

غمغم (فرناندو) مضيفًا فى حذر :

ــ ولست أذكر أننى قد رأيت امرأة واحدة بينهم ، عندما فروا بخيولهم من الإسطبلات يا سيدى .

احتقن وجه البارون ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ــ التفسير الوحيد لهذا ، هو أنهم يختبئون فى مكان ما هنا.

قال (فرناندو) فى حيرة :

ــ أين يا سيدى ... لقد فتشنا المزرعة كلها ، وقلبناها رأسًا على عقب ، بحثًا عنهم .

أجابه فى حزم :

ــ فى الإسطبلات ... لقد اختفوا دون أن يغادروها ، ولا تفسير لهذا ، سوى أنهم يختبئون فى مكان ما داخلها .

بدت الفكرة عجيبة ، بالنسبة لعقلية (فرناندو) ، ولكنه اتخذ وقفة عسكرية ، وهو يقول :

ــ سنفتش كل شبر منها يا سيدى البارون .

أشار إليه البارون ، وهو يقول فى تفكير :

ــ استخدموا وسائلنا التكنولوجية؛ لكشف أى مخبأ سرى أسفل الإسطبلات ... احفروا أرضيتها ، لو استلزم الأمر ، ولكن امنحونى جوابًا ، خلال ساعة واحدة ... هل تفهم ؟!

أجابه (فرناندو) فى قوة :

ــ أوامرك أيها الزعيم.

ثم انصرف فى سرعة ، لتنفيذ الأمر ، فقال (أدهم) ، وهو يستعيد صفاء ذهنه تدريجيًا :

ــ سيضيع الكثير من وقته بلا طائل .

Looloo
www.dvd4arab.com

التفت إليه البارون ، قائلاً :

ــ آه... إذن فقد استعدت وعيك .

ثم اتجه إلى مقعد ، أمام (أدهم) مباشرة ، وهو يضيف :

ــ والآن دعنـــا نعـــود إلى الحـــديث عـــن الجولات يا سيد (أدهم) .

قال (أدهم) فى سخرية :

ــ بل دعنى أقتبس عبارتك ، عن أن المباراة لم تنته بعد أيها البارون .

رفـــع البـــارون حاجبيـــه وخفضهما ، وهـــو يقول بابتسامة ظافـــرة :

ــ لقد أوشكت يا سنيور (صاندو) ، ورفيقاك سيساعدان على إعلان نهايتها .

تطلع إليه (أدهم) بنظرة متسائلة ، فلوح بيده ، مضيفًا :

ــ كنت أصر على أن توقع العقد بنفسك ؛ حتى لا يمكنك الطعن فى صحة التوقيع فيما بعـــد ، أو أن يفعل أحـــد هذا من بعدك ، ولكن وصول صاحب الأصابع الذهبية (قدرى) ، جعل الأمور أكثر يسرًا .

قال (أدهم) فى هدوء :

ــ أنت لا تعرف (قدرى) جيدًا .

تابع البارون ، وكأنه لم يسمعه :

ــ فوفقًا لما بلغنى عنه ، يمكنه أن يزيِّل العقد بتوقيعك ، فى دقة تجعلك أنت نفسك تشك فى صحته .

قال (أدهم) فى صرامة :

ــ وكيف سيمكنك إقناعه بهذا ؟!

هزَّ البارون كتفيه ، قائلاً :

ــ إنه لم يتناول الطعام ، الذى كان يحلم به ، منذ ليلة أمس .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

Loolaa
www.dvd4arab.com

ـ ألم أقـل لـك : إنـك لا تعرف (قدرى) جيدًا ؟!... هل تصورت أنه يمكن أن يخون صديق عمـره ، مـن أجـل وجبة طعام ؟!

قال البارون فى ثقـة :

ـ سأقدم له وجبة شهية للغاية .

ثم ابتسم فى شراسة ، مضيفًا :

ـ مع مسدس مصوب إلى رأس صديقتكما (منى) .

صمت (أدهم) لحظات ، ثم قال فى صرامة :

ـ مازالت هناك نقطة ضعف كبيرة فى خطتك .

ابتسم البارون أكثر ، وهو يقول :

ـ لو أنك تقصد ضرورة تواجدك ؛ لتأكيد التوقيع ، فلدىَّ حل عبقرى لهذا .

وضغط زرًا صغيرًا ، على سطح مكتبه ، مضيفًا :

ـ وستراه بنفسك .

مع ضغطة الزر ، انفتح باب حجرة المكتب ، وسمع (أدهم) وقع أقدام تقترب ، فالتفت إلى مصدرها ، و ....

وانعقد حاجباه بمنتهى الشدة ...

فقد كان ما يراه أمامه مفاجئًا ، إلى حد لا يمكن توقعه ... أبـدًا .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

13ـ ذلك الآخـر ...

تململ (قدرى) فى مكانه متوترًا ، مع تلك القيود القوية ، التى تربط معصميه خلف ظهـره ، مما يرهقـه ، ويثقل على أنفاسه ، وغمغم فى سخط :

ـ ياللأوغاد !

تمتمت (منى) ، وهى تحاول عبثًا التخلص من قيودها :

ـ أظنهم يستخدموننا الآن ، للسيطرة على (أدهم) .

قال فى حزم عجيب :

ـ (أدهم) سينقذنا .

حمل صوتها مرارة ، وهى تقول :

ـ إننى أشاركك ثقتك هذه فى (أدهم) ، ولكننى أظن أننا قد وضعناه الآن ، فى موقف أسوأ من موقفنا .

أجابها فى ثقة شديدة :

ـ ولكنه سينقذنا .

حاولت أن تلتفت إليه فى دهشة ، ولكن كل منهما كان مقيدًا إلى ظهر الآخر ، مما جعل كل ما يمكنها هو أن تدير رأسها قليلاً إلى الجانب ، وهى تقول :

ـ أليك شىء لا أعرفه ؟!

أجابها فى حسم :

ـ بالتأكيد .

أرادت أن تسأله عما يعنيه هذا ، إلا أن (فرناندو) دخل إلى الحجرة ، فى هذه اللحظة ، وقال فى صرامة ، موجهًا حديثه إلى (قدرى) :

ـ البارون يطلبك .

قال (قدرى) فى دهشة :

ـ أنا ؟!

لم يجبه (فرناندو) ، وإنما أشار إلى أحـد رجاله ، فتقدم ليفصل قيود (قدرى) عن (منى) ، وهو يقول فى خشونة :

www.dvd4arab.com

ــ انهض .

أجابه (قدرى) فى توتر :

ــ هل تعتقد أن هذا الجسد ، يمكنه أن ينهض وحده ، بقيود كهذه ؟!

أشار (فرناندو) إلى رجلين آخرين ، بذلا جهدًا حقيقيًا ؛ لدفع (قدرى) بجسده الضخم ، إلى وضع الوقوف ، ثم دفعاه أمامهما فى قسوة ، وهو يهتف :

ــ و(منى) ... ماذا عن (منى) ؟!

كان يتحدَّث بالإنجليزية ، التى مـــن الواضح أن أحدًا بخلاف (فرناندو) لا يفهمها ، بالإضـــافة إلى أن أحـــدًا لم يتحدث معه بحرف واحد ، وهم يواصلون دفعه أمامهم ، حتى بلغوا حجرة المكتب ...

وقبل أن يدخلها (قدرى) ، رأى (أدهم) يقف فى منتصفها ، إلى جوار البارون ، على نحو يوحى بالود ، فتساءل فى قلق بالعربية :

ــ هل اتفقتما ؟!

آتاه صوت (أدهم) من ركن آخر ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هذا الوغد لا يفهم العربية .

ارتفع حاجبا (قدرى) بكل دهشته ، وهو يلتفت إلى مصدر الصوت ، ثم تحولت إلى ذهول ، عندما وقع بصره على (أدهم) ، المقيد إلى الركن ، فعاد ببصره مرة أخرى ، إلى الواقف مع البارون ، وصاح ذاهلاً :

ــ مستحيل !

أطلق البارون ضحكة ظافرة عالية ، قبل أن يقول :

ــ هل رأيت يا سنيور (صاندو) ؟!... حتى صديقك الصدوق ، لم يمكنه التمييز بينك ، وبين شبيهك .

نقل (قدرى) بصره فى ذهول ، بين (أدهم) وشبيهه ، الذى كان نسخة طبق الأصل منه ، فى ملامحه وهيئته ، فأضاف البارون برنة انتصار واضحة :

ــ هذا ما يفعله المال أيها المصرى ... رجل يمائلك قامة ، مع فريق من أكبر وأشهر جراحى التجميل فى العالم ، وبعدها ... ان على الأرض .

www.dvd4arab.com

لم يستطع (قدرى) النطق ، من شدة ذهوله ، فى حين قال (أدهم) فى صرامة :

ــ تحتاج إلى أكثر من مجرد الشكل للفوز يا هذا .

ابتسم البارون ، قائلاً فى ثقة :

ــ اترك لى هذه المشكلة .

ثم التفت إلى (قدرى) ، قائلاً :

ــ هل أنت مستعد لتناول وجبتك الدسمة ، يا سيد (قدرى) ؟!

سأله (قدرى) فى عصبية :

ــ مقابل ماذا ؟!... إنك لم تحضرنى إلى هنا ، لتناول وجبة دسمة فحسب .

وضع البارون عقود المزرعة على سطح مكتبه ، وهو يقول :

ــ أنت على حق أيها البدين .

قال (قدرى) فى حدة :

ــ من الذى تصفه بالبدين ؟!

أجابه فى صرامة :

ــ أنت أيها الدب ... هيا ...استخدم أصابعك الذهبية؛ لتضع توقيع السيد (أدهم) ، بمنتهى الإتقان على هذه الأوراق .

تبادل (قدرى) نظرة متوترة مع (أدهم) ، ثم قال فى صرامة :

ــ إننى أفضل الموت جوعًا .

بدا البارون ساخرًا ، وهو يقول :

ــ لا تتعجل الأمـــر يا صاحب الأصابع الذهبيـــة ... ثم إننى لا أعرض عليك الوجبة فحسب .

وقسا صوته مع ملامحه ، وهو يضيف :

ــ إننى أعرض عليك رأس زميلتك الرقيقة أيضًا .

تضاعف توتر (قدرى) ، وتبادل نظرة أخرى مع (أدهم) ، الذى قال فى صرامة :

ــ وهل ستبقى على رأسيهما ، بعد أن تحصل على ما تبتغيه يا هذا ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

هز البارون رأسه ، وقال فى برود :

ــ لا يمكنـــك أن تضمن هـــذا ، ولكننى بالتأكيد سأنسف رأس محبوبتك ، أمام عينى هذا الدب ، إن لم ينفذ أوامرى .

راح(قدرى) ينقل بصره ، فى توتر كبير ، بين (أدهم) ، وشبيهه ، والبارون ، وبدأ عرق عجيب يتصبب على وجهه ، على الرغم من مكيف الهواء القوى ، فقال (أدهم) ، فى كلمات بطيئة موزونة :

ــ نفذ ما يطلبه يا (قدرى) .

تطلع إليه (قدرى) بنظرة متشككة قلقة ، ولكنه أومأ برأسه ، مضيفًا :

ــ إنه لن يتورع عن تنفيذ تهديده القذر .

تردد (قدرى) لحظات ، ثم قال فى حذر :

ــ لست أدرى كيف يوقع (أدهم) أوراقه هناك .

ابتسم البـــارون فى سخرية ، وهو يجذب ورقة ، ويضعها أما عينى (قدرى) ، قائلاً :

ــ لا عليك ... لقد أحضرت لك نموذجًا لتوقيعه .

تطلع (قـــدرى) إلى صورة التوقيع على الورقة ، ثم عاد يلتفت إلى (أدهم) ، الذى أومأ برأسه إيجابًا ، فبدا الضيق على (قدرى) ، وهو يقول :

ــ حلوا قيودى .

أشار البارون إلى (فرناندو) ، فتقدم يحل قيود (قدرى) ، الذى فرك كفيه فى ألم ، فى نفس الوقت الذى ناوله فيه البارون قلمًا ، وهو يشير إلى العقود ، قائلاً :

ــ هيا ... ولاحظ أن لدىَّ هنا خبير تزوير محنَّكًا ، يمكنه أن يكشف أى تلاعب ، وعندئذ ...

لم يتم عبـــارته ، ولكن مضمونها كـــان واضحًا ، فتناول (قدرى) القلم ، وصورة التوقيع ، ثم اتجه ليجلس خلف مكتب البارون ، وجذب العقود إليه ، ثم راح يفحص التوقيع فى اهتمام ، وهو يضع يده على فمه ، قبل أن يضع البارون أمامه عدسة مكبرة ، قائلاً :

ــ ستحتاج إليها .

Looloo
www.dvd4arab.com

أزاحها (قدرى) بعيدًا ، وهو يقول فى حزم ، واضعًا يده على فمه :

ــ كلا ..

استغرق دقيقة أخرى ، فى فحص صورة التوقيع ، ثم أمسك الأوراق بمنتهى الثقة ، ووقعها فى سرعة وبساطة ، جعلت البارون يقول فى دهشة :

ــ هكذا ؟!

بدا الشك على وجه البارون ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أحضروا الخبير .

لم تمض ثوان على قوله ، حتى دخل رجل أصلع قصير إلى الحجرة ، وهو ينقل بصره بين الجميع فى توتر ، فناوله البارون العقود ، مع صـــورة التوقيع ، وأخرج الرجـــل عدسة كبيرة من جيبه ، وراح يقارن بين صورة التوقيع ، وذلك التوقيع على العقود ، قبل أن يقول ، فى انبهار شديد :

ــ مدهش !!...

ثم رفع عينيه إلى (قدرى) ، مستطردًا بانبهار يتزايد :

ــ أنت فعلت هذا ؟!

مط (قـــدرى) شفتيه ، دون أن يجيـــب ، فى حين غمغم البارون فى حذر :

ــ وبمنتهى السرعة والبساطة .

ارتفع حاجبا الأصلع ، فى دهشة مبهورة ، ثم اندفع يمد يده إلى (قدرى) ، هاتفًا :

ــ لى كل الشرف أن أصافحك يا رجل ... أنا خبير فى هذا المضمار ، منذ أكثر من عقدين من الزمن ، ولم أشاهد عملاً بهذا الإتقان قط !!

غمغم (قدرى) ، والضيق مازال يملأ صوته ، وهو يشيح بوجهه ، عن اليد الممدودة نحوه :

ــ إنه مجرد توقيع .

خفض الأصلع يده فى حرج ، ولكنه واصل بنفس الانبهار :

ــ أستطيع أن أضمن لك ثروة طائلة ، لو عملنا معًا لعام واحد .

قال (قدرى) فى حدة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ دخلى من عملى يكفينى .

شعر البارون بالظفر والارتياح ، وهو يقول :

ـ وماذا عن عرض بخمسة ملايين دولار ، فى العام الواحد ؟!

رفع (قدرى) عينيه إليه فى دهشة ، فمال البارون نحوه ، وأضاف :

ـ وحياة زميلتك أيضًا .

انعقد حاجبا (قدرى) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ وماذا عن (أدهم) ؟!

تألقت نظرة وحشية فى عينى البارون لحظة ، ثم خبت فى سرعة ، وهو يجيب :

ـ سيبقى هنا فى أرضه...وهذا وعد .

أدار (قدرى) عينيه إلى (أدهم) ، الذى ظل جامدًا ، ولم تحمل نظراته أية دلالة ، فى عينى البارون المتفحصتين ، ولكن (قدرى) قرأ فيهما شيئًا ما ...

شىء جعله يبدو مترددًا ، وهو يغمغم :

ـ هذا العرض يحتاج إلى تفكير .

أشار البارون بسبابته ، قائلاً فى صرامة :

ـ سأمنحك ثلاث ســاعات ، وهى أطــول مهلة منحتها لأية صفقة .

ثم أشار إلى (فرناندو) ، فتحرك رجاله ليعيدوا تقييد (قدرى) ، ويدفعونه أمامهم إلى خارج الحجرة ، وألقى هو نظرة أخيرة على (أدهم) ، وهو يغمغم فى أسف :

ـ إنه عرض مغرٍ للغاية .

وما إن غــادر الرجال مع (قدرى) الحجرة ، وخلت إلا من (أدهم) والبارون ، تفحص هذا الأخير العقود كلها ، ثم عاد بها إلى ذلك المقعد المواجه لرجل المستحيل ، وهو يقول :

ـ هكذا سحر المال ، تكشف يومًا أن الأصدقاء المخلصين ، ليسوا بالإخلاص الذى تتصوره .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ هذا يتوقف على مفهوم (الأكثر قوة) .

Looloo
www.dvd4arab.com

أطلق البارون ضحكة ظافرة ، قبل أن يقول :

ــ القوة هى التى جعلتك تخسر آخر معاركك يا سنيور... سقطت أمامى فاقد الوعى ، فى حين بقيت أنا واقفًا على قدمىَّ فى النهاية؛ بسبب المصل المضاد لغاز (ماينهايم) ، الذى استنشقناه جميعًا ... القوة هى التى أغرت صديقك بالتفكير فى عرضى ... أما عن الوعد الذى وعدته إياه ، فسأكرره وأؤكده لك أيضًا ... لو قبل العرض ، فسأبقى بالفعل على حياة زميلتك الحسناء ، التى ربما أقدم لها عرضًا أكثر إغراءً ... أما أنت ، فقد اتخذت ما يلزم ، لتبقى فى أرضك بالفعل .

ثم انعقد حاجباه ، وحمل صوته قسوة وشراسة الدنيا ، وهو يضيف :

ــ وإلى الأبد .

* * *

« مدفعك مازال يعمل ... أليس كذلك ؟!.. » ..

ألقت (كاترين) السؤال على (ألنزو) ، فى اهتمام بالغ ، وهما يقفان فى مطبخ المزرعة ، المكان الوحيد ، الذى لا يحوى أجهزة مراقبة ، فأومأ برأسه إيجابًا فى عصبية ، وهو يقول :

ــ وحروق جسدى مازالت تؤلمنى بشدة .

تحسست الجزء السليم من وجهه ، وهى تقول ، فى نعومة أفعى :

ــ ما سنحصل عليه ، سيتيح لك أن تستعيد كل شىء ، على يد أكبر جراحى التجميل فى العالم .

زمجر ، قائلاً :

ــ المهم أن أنتقم ، ممن فعل بى هذا .

مالت نحوه ، قائلة فى حزم :

ــ اسمع خطتى جيدًا...إننى مازلت أمتلك شفرة الدخول ، إلى نظام الأمن الإليكترونى ... سأصعد الآن إلى الوحدة الرئيسية ، وسأضيف كودًا جديدًا ، لكل نظم التعرف فى المدافع الإليكترونية ، فيما عدا مدفعك ، ومدفع (فرناندو) .

قال فى حدة :

ــ ولماذا مدفع (فرناندو) ؟!

أجابته فى خبث :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لأننى سأستبدل كود بصمته ، بالكود الخاص بى .

انعقد حاجباه ، على نحو يوحى بعدم الفهم ، فأضافت موضحة :

ــ عندئذ سأعرف أى مدفع ، ينبغى لى الحصول عليه ، عندما تتوقف كل المدافع عن العمل ، ومع امتلاكنا للمدفعين الوحيدين ، الصالحين ، سنحصد باقى الرجال هنا حصدًا ، فى دقائق قليلة ، وبعدها سنصبح سادة المكان .

سألها بنفس العصبية :

ــ وماذا عن البارون ؟!

بدت شديدة الإغراء ، وهى تقول :

ــ بكم تتصور أنه سيشترى حياته ؟!

حملت أساريره علامات الفهـــم لأول مرة ، وهو يقول فى شراهة :

ــ بمليارات .

داعبت أنفه بسبابتها ، قائلة :

ــ بالضبط .

ثم اعتدلت ، مضيفة فى حزم :

ــ انتظرنى هنا ، فى مطبخ المزرعة ، وعنـــدما أنتهى من عملى ، سنبدأ خطتنا على الفور ... كن مستعدًا .

تركته فى مطبخ المزرعة ، وتسللت بسرعة إلى الطابق الثانى ، الذى اتخذوا من إحدى حجراته مركـــزًا للوحـــدة الأمنية الإليكترونية الخاصة ، وفتحت بابها فى هدوء ، و ...

« لماذا تأخرت يا عزيزتى (كاترين) ؟!.. » ..

نطق (فرناندو) السؤال ، وهو يبتسم فى سخرية ، مصوبًا إليه فوهة مدفعه ، ومن خلفه ثلاثة من رجاله ، يصوبون إليها مدافعهم بدورهم ...

وعلى الرغم من المفاجأة ، نجحت (كاترين) فى التماسك ، وهى تقول فى صرامة :

ــ ماذا تفعل هنا يا (فرناندو) ؟!... المفترض أننى المسئول الوحيد عن هذه الوحدة .

تجاهل (فرناندو) عبارتها ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال :

ــ إنها هنا يا سيدى البارون .

Looloo
www.dvd4arab.com

آتاه صوت البارون ، يقول فى صرامة :

ــ أحضرها .

قالت فى عصبية ، وهم يدفعونها أمامهم :

ــ ستدفعون ثمن هذا .

ابتسم (فرناندو) فى سخرية ، ثم التفت إلى بعض رجاله ، قائلاً بلهجة آمرة :

ــ (ألنزو) ينتظرها فى مطبخ المزرعة ... ولديكم أوامر لتنفيذها .

شعرت بمزيج من الدهشة والقلق مع عبارته ...

كيف علم أن (ألنزو) ينتظرها فى مطبخ المزرعة ؟!..

وما هى أوامر الرجال ؟!..

بلغت حجرة المكتب ، قبل أن تصل إلى جواب السؤالين ، ولم تكد تدلف إليها ، حتى سمعت صوتها عبر جهاز صوتى ، وهى تقول :

ــ بكم تتصور أن يشترى حياته ؟!

أنهى البارون الجهاز الصوتى ، بعد هذه العبارة ، وشحب وجهها فى شدة ، وهو ينظر إليها ، قائلاً :

ــ كمسئولة أمن ، كنت تعلمين أن المكان الوحيد بالمزرعة ، الذى لم نزوده بأجهزة تنصت ، هو المطبخ ، وهذه هى لعبتى المفضلة يا عزيزتى (كاترين) ... أن أعلم دومًا ما لا يعلمه الجميع ...

قالت فى عصبية :

ــ سيدى البارون ... إننى ...

قاطعها بإشارة صارمة من يده ، قبل أن يواصل :

ــ لقد زودت المطبخ بنظام تنصت ، دون علم الجميع ؛ لأننى كنت أدرك أن كل تآمر سيبدأ هناك.

هتفت ، محاولة إنقاذ نفسها :

ــ لقد كنت ...

قاطعها مرة أخرى ، فى صرامة أكثر ، وهو يقول :

ــ والجميع هنا يعلم ، أن أكثر ما أبغضه الخيانة .

Looloo
www.dvd4arab.com

راقبها (أدهم) ترتجف فى شدة ، ورأى الدموع تسيل من عينيها ، وهى تقول منهارة :

ــ الرحمة .

مط البارون شتيه ، وقال :

ــ الرحمة الوحيدة ، التى يمكن أن تحصلين عليها هنا ، هى ميتة سريعة غير مؤلمة .

انهارت على ركبتيها أمامه ، قائلة :

ــ ابق على حياتى ، وسأظل أكفّر عن هذا الخطأ ما حييت .

تنهد ، قائلاً :

ــ المشكلة اننى لو تجاوزت عن هذا ، فسيتبعك آخرون ، وهذا يتعارض مع مخططاتى الرئيسية .

هتفت فى انهيار تام :

ــ الرحمة .

قال (أدهم) فى صرامة :

ــ لا تتوسلى لهذا الوحش؛ فهو يعشق ما يفعله ، وسيقتلك فى كل الأحوال .

اتسعت عيناها ، وهى تلتفت إليه ، فى حين ابتسم البارون كوحش مفترس ، وهو يقول :

ــ سنيور (صاندو) على حق ... الرحمة الوحيدة هنا ، هى ميتة سريعة .

ثم بدا شديد الوحشية ، وهو يضيف :

ــ والمشكلة أننى لا أتميز بهذه الرحمة .

صرخت فى ثورة ، ووثبت تنقض عليه ، صارخة :

ــ أيها الوغد الحقير .

وثب رجال (فرناندو) نحوها ، ومنعوها من الوصول إلى البارون ، وراحوا يكبلونها بأغلال قوية ، وهى تصرخ :

ــ سيفعل هذا بكم جميعًا ... أنا مجرد بداية .

مع آخر كلماتها ، وضع الرجال على فمها شريطًا لاصقًا قويًا ، فاحتقن وجهها بشدة ، والبارون يقول فى ظفر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هل تعلمين كيف يقتل المكسيكيون الفئران ، التى تلتهم محاصيلهم ، فى هـذه الناحيـة ؟!...إنهم يضعونهم فى وعاء كبير ، ممتلئ بالمـاء ، وله جـدران عالية ملساء ، فيظلون يقاومون بعض الوقـت ، حتى تنهـار مقاومتهم ، ويغرقون فى قاع الوعاء .

وانحنى يواجهها مباشرة ، وهو يضيف :

ــ وأنت بالنسبة لى فأر خائن يا عزيزتى .

اتسـعت عيناها فى ارتيـاع ، وراحت تحاول المقاومة فى استماتة ، فى حين قال (أدهم) فى ازدراء :

ــ لم لا تقتلها فحسب ؟!

أشار بيده ، قائلاً بأسلوب مسرحى :

ــ لن يكون هذا دراميًا بما يكفى .

ثم أشار بيده إلى (فرناندو) ، قائلاً :

ــ أخبرنى عندما ينتهى الأمر ؛ لنعد لها مدفنًا لائقًا .

بدأ الرجال يسحبونها خارجًا ، وهى تواصل مقاومتها فى استماتة ، فى نفس الوقت الذى وصل فيه الرجال ، الذين أرسلهم (فرناندو) خلف (ألنزو) ، وقال أحدهم فى توتر :

ــ لم نعثر عليه .

وعلى الرغم من وضوح العبارة ، سأله البارون فى غضب :

ــ لم تعثروا على من ؟!

أجابه الرجل ، وتوتره يتزايد :

ــ (ألنزو) يا سيدى البارون ... لم نجده فى المطبخ ، ولم نعثر عليه ، فى أى مكان آخر فى المزرعة .

انعقد حاجبا البارون فى شدة ، وأسرع إلى جهازه الخاص ، ورفع صوته ، وهو يعيده بعض الوقت إلى الخلف ...

وعبـر ما سجله جهـاز التنصت منـذ قليل ، سمع البارون ضـجة مفاجئـة فى المطبـخ ، مع وقـع أقـدام عديدة ، وصرخـة عصبية من (ألنزو) ، وبعدها أصوات توحى بقتال عنيـف ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم صمت ...

صمت تام ...

وتفجر غضب البارون ...

إلى أقصى حد .

* * *

14ـ الثمـــن ...

لم ينطق (قدرى) كلمة واحدة ، منذ أعادوه إلى تلك الحجرة ، التى يحتجزونه فيها مع (منى) ، وأعادوا قيدهما ظهرًا إلى ظهر ، فى أبعد ركن فيها ...

وصمتت (منى) لحظات ، قبل أن تسأله فى عصبية :

ـ ماذا فعلت ؟!

أجابها فى هدوء استفزها :

ـ وضعت توقيع (أدهم) على العقود .

صدمها الجواب ، فهتفت فى حدة :

ـ وكيف تفعل هذا ؟!

أجابها بنفس الهدوء المستفز :

ـ لم يكن أمامى سوى هذا .

صاحت غاضبة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ كان الموت أفضل.

سألها :

ــ موتى أم موتك ؟!

صمتت لحظة ، ثم سألته :

ــ لقد هددوا بقتلى ... أليس كذلك ؟!

انتبهت فجأة إلى أن يديه تتحركان خلفها ، وهو يجيب ، مع أنَّة ألم :

ــ الأمر مؤلم بحق ، ولكننى أحتاج إلى التركيز.

أدركت (منى) أن (قدرى) يقوم بعمل ما ، لا يريد أن تكشفه كاميرات المراقبة ، التى ترصد حركتهما طوال الوقت ، فغمغمت :

ــ المهم أن يكون ناجحًا .

قال :

ــ هل يمكنك أن تصمتى ؟!... هذا يشتت انتباهى .

لاذت بالصمت تمامًا ، وشعرت مع أنفاسه المتلاحقة ، بالجهد الذى يبذله ، قبـــل أن تصدر منه تنهيدة ارتياح ، ويتمتم فى خفوت :

ــ ألم أقل لك : إن (أدهم) سينقذنا ؟!

قالها ، ثم شعرت بيديه حرتين ، تتعاملان مع قيودها على نحو ما ، ثم لم تلبث أن شعرت بتحررها من قيودها ، فتألقت عيناها ، وبذلت جهدًا للسيطرة على انفعالها ، وهى تقول فى خفوت :

ــ إنها موهبة جديدة ، لم أكن أعلم شيئًا عنها .

قال فى هدوء :

ــ الأصابع المدربة ، تستطيع أن تفعل الكثير .

ثم أضاف ، بعد لحظة من الصمت :

ــ ويمكنك القول : إنها هواية قديمة.

هنا فقط ، أدركت ما الذى كان يعنيه ، بقوله : إن (أدهم) سينقذهما ...

Looloo
www.dvd4arab.com

إنه دبوســـها الذهبى ، الذى يحمـــل الحـــرف الأول من اسم (أدهم) ...

لقد انتزعه من عنق الرجل ، إلا أنه لم يعده إليها قط ...

فقط مسحه فى عناية ، ثم وضعه تحت لسانه ...

الآن فقط فهمت ...

لقد تحررا من قيودهما ، ولكنهما مازالا تحت مراقبة دقيقة ومستمرة ، داخل حجرة مغلقة فى إحكام ...

كل ما عليها إذن ، هو أن تنتظر الفرصة المناسبة للهجوم ... وللمفاجأة ...

فربما يصنع هذا فارقًا ...

ربما ...

* * *

« هناك ممر سرى ، إلى مطبخ المزرعة .. » ...

قالها البارون بمنتهى الغضب ، وهو يتحرّك فى حجرة المكتب كالمسعور ، ثم التفت إلى (أدهم) فى حدة ، صائحًا :

ــ هذا صحيح يا سنيور (صاندو) ... أليس كذلك ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول :

ــ ربما .

اقترب منه البارون فى حدة ، وصاح فى وجهه :

ــ رجالك لم يغادروا المزرعة ... لقد بحثنا عنهم فى كل مكان ، فلم نجد سوى الخيول .. لقد عادوا يختبئون فى مكان ما هنا ... وهذا المكان يمتد منه ممر سرى ، إلى مدخل خفى فى المطبخ .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ يا للعبقرية !

استفزت سخريته البارون أكثر ، فصاح :

ــ سنقلب المطبخ رأسًا على عقب أيها المصرى ، وسنعثر على ذلك الممر السرى ، حتى لو هدمنا الجدران ، ونزعنا الأرضيات ، وحتى لو نسفت المكان كله ... وسيدفع رجالك الثمن .

عاد (أدهم) يهز كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ من يدرى؟!...ربما كان شيطانك (ألنزو) هو من يدفع الثمن الآن .

صرخ فى غضب :

ــ فليذهب (ألنزو) إلى الجحيم ... المهم أن أنتصر فى النهاية .

تطلع (أدهم) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى تحدٍ :

ــ تذكّر كلماتك أيها الوغد ... المباراة لم تنته بعد .

نظر إليه البارون فى مقت شديد ، ثم اندفع إلى مكتبه ، وفتح علبة حمراء اللون ، التقط منها محقنًا ، عاد به إلى (أدهم) ، وهو يقول فى غضب :

ــ بل انتهت يا سيد (أدهم) .

قاله ، وغرس إبرة فى عنق (أدهم)؛ ليضخ فى عروقه عقارًا ما ، وهو يقول :

ــ هذا العقار سيضعك فى حالة نصف الوعى ... ستسمع وترى كل شىء ، ولكن عقلك لن يكون بالصفاء الكافى للمقاومة ...

ولقد أعددت مسرح العمليات؛ لتبقى فى أرضك إلى الأبد ، ولكن المؤسف أنه لن يكون هناك شاهد لقبرك ، ولن يستطيع محبوك وضع الزهور عليه.

بدأ (أدهم) يشعر بتأثير العقار بالفعل ، فى حين نهض البارون ، وقال لرجاله ، وهو مستمر فى غضبه :

ــ اهدموا المطبخ تمامًا ، واعثروا على ذلك الممر السرى بأى ثمن ، أما سنيور (صانتو) ، فكموا فمه ، حتى لا أسمع المزيد من كلماته المستفزة ، وقيدوه بإحكام فى سيارتى الخاصة .

وعاد ببصره إلى (أدهم) ، وهو يواصل فى مقت شديد :

ــ سيشاهد العالم كله ، كيف ستنتهى حياة (رجل المستحيل) .

قالها ، وتألقت عيناه فى وحشية أكثر ...

وأكثر ...

وأكثر ...

* * *

لم يدر (ألنزو) ماذا حدث بالضبط ؟!...

Looloo
www.dvd4arab.com

كان واثقًا من أنه يقف وحده ، داخل مطبخ المزرعة ، عندما سمع صوتًا من خلفه ، من ناحية الجدار الجانبى ، وقبل أن يلتفت إلى مصدره ، هوت ضربة عنيفة على رأسه ، وأخرى على يده الممسكة بالمدفع الإليكترونى ...

سقط مدفعه أرضًا ، وشعر بعدد من الرجال يحيط به ، وحاول أن يقاوم فى شدة ، ولكن ضربات مؤلمة ، على الأجزاء المحترقة من جسده ، جعلت مقاومته تنهار سريعًا ، قبل أن يشعر بأياد عدة تجذبه نحو فتحة عجيبة فى الجدار ، لم يكن لها وجود من قبل ، ثم راحت تلك الأيادى تجره جرًا ، على أرضية ممر طويل ، غير مبالية بصرخاته ، حتى بلغ قاعة واسعة مضاءة ، احتشد فيها كل من تبقى من عمال وموظفى المزرعة ...

وكانت العيون كلها تحدق فيـــه ، فى مقـــت شديد ، وبعض الأيادى تكبل قدميه ومعصميه ، ثم سمع صوت (بدرو) ، مدير المزرعة ، وهو يقول :

ــ أرقت دماء العديدين يا سنيور ... ومن العدالة أن تدفع الثمن .

حدق فيه (ألنزو) فى رعب ، وهو يغمغم مرتجفًا :

ــ لقد كان عملًا يا رجل ... لم تكن هناك ضغائن شخصية .

رأى المقت فى العيـون يتضـــاعف ، وقالـــت إحـــدى نساء المزرعة :

ــ وهذه عدالة السماء يا هذا ... ليست ضغائن شخصية .

اتسعت عيناه فى ارتيـــاع ، عنـــدما وقع بصره على حبل المشنقة ، المعلق فى منتصف القاعة ، وصرخ :

ــ لم يكن أمرًا شخصيًا .

كان هذا آخر ما نطقه ، قبل أن يضع الرجال كمامة ملوثة بالدم على فمه ، و(بدرو) يقول :

ــ الدماء التى تتذوقها الآن ، هى دماء ضحاياك يا سنيور ... وكلها دماء بريئة ، لم ترتكب ما يستحق إزاقتها ، وكلها أيضًا تطالب بالقصاص .

هز رأســـه فى قـــوة ، وصدرت عنـــه همهمات مذعورة ، والرجال يدفعونه أمامهم ، إلى حيث المشنقة ، التى أحاطوا عنقه بأنشوطتها ، و(بدرو) يقول فى خشوع :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وفقًا للقانون ، صدر عليك حكم بالإعدام ، جزاء ما اقترفت يا سنيور ، وسيدفن جسدك بأسلوب لائق ، ولكن دون تحديد موقعه ، وليكمل الخالق العظيم عقابك فى جحيمه .

قاوم (ألنزو) بشدة ...

وقاوم ...

وقاوم ...

ولكن الرجال تعاونوا مع بعض النساء على جذب الحبل ...

وارتفع جسد (ألنزو) ، واختنق بشدة ...

ولكنه ظل يقاوم ..

كانت العيون كلها تتابع مقاومته فى صمت ، ودون أدنى تعاطف ، وقد جحظت عيناه عن آخرهما ، مع الألم والرعب ...

ثم بدأت مقاومته تضعف ...

وتضعف ...

وفى النهاية ، تدلت جثته من حبل المشنقة هامدة ...

وفى خشوع ، راح الجميع يتلون صلاة واحدة ...

لقد دفع السفاح الثمن ...

وبمنتهى العدالة ...

* * *

تألقت عينا البارون فى ظفر ، عندما انتهى رجاله من إخفاء ذلك التابوت ، الذى يحوى (رجل المستحيل) ، تحت رمال الصحراء ، والتفت إلى أحد مصورى الحدث ، متسائلاً فى شغف :

ــ هل التقطت المشهد كله ؟!

أشار الرجل بإبهامه ، قائلاً :

ــ لدينا فيلم رائع يا سيدى البارون .

انتفخت أوداجه ، وهو يقول :

ــ عظيم ... اصنع منه عدد كاف من النسخ ، وأرسل أحدها إلى عزيزتى (سونيا) ، وآخر إلى دونا (كارولينا) ، ونسخة إلى كل جهاز مخابرات معروف ، ولا تنس نسخة خاصة ، بغلاف أحمر ، إلى المخابرات المصرية .

أشار الرجل بإبهامه مرة أخرى ، وهو يبتسم ، قائلاً :

www.dvd4arab.com

ــ فورًا يا سيدى البارون .

التقط البارون نفسًا عميقًا ، من هواء الصحراء ، وقال :

ــ والآن ، دعونا لا نضيع لحظة أخرى ..

والتقط هاتفه؛ ليجرى اتصاله بمحاميه (توبلكس) ، قائلاً :

ــ سننطلق فورًا إلى هيئـــة التوثيق ، لتسجيل عقـــود بيع المزرعة ، وسيأتى (رودريك) معى ؛ ليؤكد الصفقة ، باعتباره سنيور (أميجو صاندو) ... انتظرنا هناك.

برز شبيه (أدهم) فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

ــ أوامرك يا سنيور .

تطلع إليه البارون لحظة ، سرت خلالها لمحة من الشك فى نفسه ، مع ذلك الشبه الهائل ، بين (رودريك) و(أدهم) ، ثم أشار إليه ، قائلاً :

ــ أكد هويتك أوّلاً يا هذا .

مد (رودريك) يده إلى الأمام ، وأسرع أحد الرجال يحصل على بصماته ، عبـــر جهاز إليكترونى خاص ، ثم على عينة من

دمه ، وضعها فى جهاز آخر ، وأدار الجهازين ، فظهرت النتيجة عليهما معًا ، تؤكد أن البصمة والعينة الجينية للشبيه ، وليست لبطلنا ، فتنهد البارون فى ارتياح ، وقال :

ــ هيا بنا .

توجه مع الشبيه إلى هليوكوبتر تنتظرهما ، واستقلاها ، وهو يشعر بفخر ما بعده فخر ...

فلو أن (أدهـــم صبرى) قد حاز بإنجازاته وتفوقه ، لقب (رجل المستحيل) ، فقد حاز هو بقوته وحنكته لقبًا أكثر قوة ...

لقب الرجل الذى قضى أخيرًا على (رجل المستحيل) ...

وهذا فى رأيه يدعو للفخر ...

كل الفخر ...

* * *

أخيرًا ، فتح أحدهم باب حجرة (منى) و(قدرى) ، وهو يقول فى صرامة ، مصوبًا فوهة مدفعه إلى رأس (منى) :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ انتهت مهلة الساعات الثــلاث يا رجل ، وأوامر البارون صريحة ... إما موافقتك ، أو رأس زميلتك .

بدا (قدرى) منهكًا للغاية ، وهو يهمس بكلمات ، لم يتبينها الرجل جيدًا ، فمال نحوهما ، وهو يقول فى صرامة قاسية :

ــ ماذا تقول أيها الدب ؟!

فجأة ، انقضت (منى) عليه بلكمة كالقنبلة ، وهى تقول :

ــ يقول إنك غبى .

وقبل أن يستعيد الرجل توازنه ، مع المفاجأة ، انتزعت منه مدفعه ، وهوت به على رأسه ، مكملة :

ــ ومن سوء الأدب أن تصف فنانًا مثله بالدب .

كان الاثنان يدركان أن شاشات المراقبة ستنقل الموقف كله ، ولهذا هتف بها (قدرى) فى سرعة ، دون أن يحاول النهوض :

ــ ناوليني هذا المدفع .

ألقت إليه المدفع الإليكترونى ، فالتقطه ، واستخدم ذلك الدبوس الذهبى ، الذى يحمل الحرف الأول مــن اسم (أدهم) ،

ليضغط على جزء صغير من جهاز التعرف على البصمة فيه ، ثم دفعه إليها ، قائلاً :

ــ الآن سيعمل .

وحاول النهوض ، وهو يكمل :

ــ من حسن الحظ أننى درست الجهاز ، عندما كنا فى السيارة .

كان الرجال يقتحمون المكان فى هذه اللحظة ، عندما ضغطت (منى) زناد المدفع ...

وتجلّت عبقرية (قدرى) مرة أخرى ...

لقد انطلقت رصاصات المدفع ، تحصدهم حصدًا ، مع المفاجأة ، التى لم يتوقعها أحدهم ...

ومع دوى الرصاصات ، اندفع عدد آخر من الرجال نحو المكان ، وهتف (فرناندو) ، وهو يكمل هدم جدران المطبخ مع رجاله :

ــ ما الذى يحدث هنا ؟!

ومع كلمـــاته ، دوى الانفجار فجأة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وكان انفجارًا قويًا ...

للغاية ...

* * *

شعر البارون بثقـــة شديدة ، وهـــو يدلف إلى جهة التوثيق المكسيكية ، بصحبة محاميه (توبلكس) ، و(رودريك) ، شبيه (أدهم) ، حاملاً عقود بيع المزرعة ...

وفى حرارة ، استقبلهما مدير المكان شخصيًا ، وهو يقول مُرَحِّبًا :

ــ يا لها مـــن مفاجأة ســـارة يا سنيور (صاندو) ... مضت فترة طويلة ، منذ أن تشرفت بلقائك فى المرة الأخيرة .

قال (رودريك) ، مستخدمًا ذلك الجهـــاز الصوتى الخاص ، المخفى فى رباط عنقه ، والذى يحول صوته إلى صوت مطابق لصوت (أدهم) الحقيقى :

ــ أنا هنا لتوثيق عقود بيع المزرعة ... البارون ابتاعها بثمن جيد .

راجع مدير المكان العقود ، وهو يقول :

ــ أنت تعلم بالطبع أنه ستكون هناك مصروفات كبيرة ، على تسجيل عملية بيع بهذه القيمة يا سنيور .

أجابه (توبلكس) ، فى شىء من الصرامة :

ــ سندفع المطلوب فـــورًا ، بشـــيك مســـحوب على بنك (نيويورك) .

بدا المدير مترددًا ، وهو يقول فى حذر :

ــ سيقارب هذا المليون بيزو(*) يا سنيور.

قال البارون فى صرامة :

ــ يمكننى أن أدفعها نقدًا لو أردت .

هز المدير رأسه نفيًا ، وقال :

ــ كلا يا سنيور ... القانون يمنع قبول النقد بهذه القيمة ... سنقبل الشيك ، لو أكد سنيور (صاندو) عملية الشراء .

بدت الحيرة على وجه (رودريك) ، فى حين قال البارون فى عصبية :

ــ ها هو ذا أمامك ، يقر بصحة العقود .

(*) العملة المستخدمة فى المكسيك .

Looloo
www.dvd4arab.com

وقال (توبلكس) فى عصبية :

ــ الأمور كلها قانونية يارجل.

مال المدير إلى الأمام ، وهو ينظر إلى (رودريك) مباشرة ، قائلاً :

ــ ولكنه لم يؤكد بعد عملية الشراء .

قال (رودريك) فى ارتباك :

ــ ولكننى أقر بنفسى ، بصحة العقود .

اعتدل المدير ، قائلاً فى صرامة :

ــ التعليمات صريحة يا سنيور (صاندو) ... لابد من تأكيد عملية الشراء .

بدا (توبلكس) شديد العصبية ، وهو يقول :

ــ لماذا تتعمّد إضاعة الوقت ياهذا ؟!..

وهتف البارون فى حدة :

ــ ما الذى يعنيه هذا العبث الأحمق ؟!

صدمه صوت ، يقول فى سخرية :

ــ يعنى أن المدير لم يسمع الكود السرى المتفق عليه ، أيها البارون .

استدار البـــارون مع المدير و(رودريك) فى سرعـــة ، إلى مصدر الصوت ، واتسعت عينا (رودريك) والمدير فى دهشة ، فى حين صرخ البارون فى ذهول :

ــ مستحيل !...

فصاحب الصوت ، كان آخر شخص يمكن أن يتواجد ، فى هذا المكان ...

كان (أدهم) ...

(أدهم صبرى) ...

الحقوقى .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

15- الختـــــام ...

على الرغم من الأوامر ، التى تلقاها من (القاهرة) ، لم يستطع السفير المصرى فى (المكسيك) ، استيعاب سر وجود هذا الفريق ، من رجال العمليات الخاصة المصريين ، والذين يحملون جميعهم جوازات سفر ديبلوماسية حمراء ، تؤكد أنهم جميعًا فى مهمة مدنية ديبلوماسية خاصة ...

أما الملحق العسكرى للسفارة ، فكان من الواضح أن لديه تعليمات سرية خاصة ، جعلته ينشغل ، من قبل حتى أن يصل الرجال ، فى إعداد وتجهيز بعض الأمور ، التى لم يعلم عنها السفير نفسه شيئًا ، على الرغم من مخالفة هذا للقواعد الديبلوماسية ...

وفور وصول الفريق ، اجتمع به الملحق العسكرى ، وهو رجل مخابرات سابق ، لمدة تزيد عن الساعة ، ثم خرج معهم فى سيارة ديبلوماسية ، دون أن يعلم أى من العاملين بالسفارة هدفهم الحقيقى ...

وبعدها عاد وحـــده ، مع كشـــف بإنفـــاق مبلغ كبير ، من المصروفات السرية للسفارة ، اعتمدته (القاهرة) فورًا ، على عكس المتبع ، فى مثل هذه الحالات ...

وعلى الرغم من أن كل هـــذا لم يرق للسفير ، إلا أنه لم يعترض ، مؤمنًا بأن الأمر يخص حتمًا الأمن القومى المصرى ، على نحو أو آخر ....

وأنه بالغ السرية ...

إلى أقصى حد ...

ولم يعرف لماذا جاء الرجال ؟!...

ولا أين ذهبوا ؟!...

ولم يحاول أن يعرف ...

أبدًا ...

* * *

لم يكد (فرناندو) يتساءل عما يحدث ، مع سماعه دوى الرصاصات ، انفجر الجدار الجانبى للمطبخ ، وأطاح به وبرجاله فى عنف ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وقبـــل أن ينهض من تبقى منهم ، اندفع عمـــال وموظفو المزرعة ، عبر الفجوة الناشئة ، وهم يطلقون صرخات قوية ، وانهالوا عليهم بالضربات فى عنف ، ثم استولوا على كل أسلحتهم ، على الرغم من عدم فاعليتها معهم...

ومع دوى الانفجار نفسه ، ارتبك باقى رجال البارون ، مما منح (منى) فرصة ذهبية؛ لتحصد بعضهم ، وهى تنطلق عبر الممر ، فى نفس الوقت الذى نهض فيه (قدرى) ، مغمغمًا فى توتر :

ــ رباه!... هل اندلعت الحرب ؟!

كانت المفاجأة مذهلة ، بالنسبة لمن تبقى من رجال البارون ، وكان مشهد المنقضين عليهم مخيفًا ، حتى إنهم تراجعوا ، على الرغم من أسلحتهم ، وأطلقوا رصاصاتهم على عامل أو عاملين ، فأجابتهم رصاصات (منى) من أعلى ، ودفعتهم إلى الفرار ، خارج مبنى المزرعة ، يستنجدون بالباقين فى الخارج ...

وعندما هبطت (منى) إلى الطابق السفلى ، استقبلها العمال بصيحة فرح ، وهتف (بدرو) فى سعادة :

ــ إنها خطة سنيور (صاندو) يا سنيوريتا ... لقد أخبرنا ما الذى ينبغى أن نفعله؛ لنحرر مزرعتنا .

سألته فى دهشة بالإسبانية :

ــ من أين أتيتم ؟!... وأين كنتم ؟!

هتفت بها امرأة فى انفعال :

ــ السنيور أرشدنا إلى مخبأ سرى للطوارئ ، أسفل إسطبلات الخيل ، وإلى الممر السرى ، المتصل بالمطبخ ، ووضع لنا الخطة كلها ، ونحن نفذناها كما أخبرنا بالضبط .

ظهر (قدرى) عند قمة سلم الدور الثانى ، وهو يهتف بالعربية :

ــ هل انتصرنا ؟!

أجابته (منى) فى انفعال :

ــ ليس بعد ... لقد فروا إلى الخارج فحسب ، بعد أن هاجمهم رجال المزرعة ، عقب نسف المطبخ .

هتف فى هلع :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ المطبخ ؟!... ولماذا المطبخ بالتحديد ؟!

أسرعت (منى) إليه ، وهى تقول :

ــ دعك من هذا الآن... لقد سيطرنا مؤقتًا على مبنى المزرعة ، ولكنهم سيعاودون الهجوم بعد قليل ، عندما يدركون أننا لا نملك أسلحة لمقاومتهم ، وعلينا أن نفعل شيئًا بهذا الشأن .

عقد حاجبيه ، وهو يقول ، وكأنه يحدث نفسه :

ــ ما قرأته عن تلك النظم العسكرية الإليكترونية ، يقول : إن النظام كله ، لابد أن يرتبط بوحدة تحكُّم مركزية .

أجابته ، وهى تبلغ الطابق الثانى :

ــ ستكون هنا حتمًا ، تحت سمع وبصر البارون .

سألها فى قلق :

ــ بالمناسبة ... أين هو ؟!... وأين (أدهم) ؟!

أجابته فى حزم :

ــ اترك لى إجابة السؤالين ، وابحث أنت عن وحدة التحكُّم .

ثم توقفت ، ووضعت يدها على كتفه ، مضيفة :

ــ (قدرى) ... إننا بحاجة إلى عبقريتك الآن...أنت أملنا الوحيد.

واختلطت المشاعر فى نفس (قدرى) ...

وامتزج فخره بسعادته وتوتره وخوفه ...

أما هى ، فعادت تهبط فى درجات السلم ، وهى تلقى على نفسها السؤال المفزع ...

أين (أدهم) الآن ؟!...

أين ؟!...

* * *

« مستحيل أن تكون هنا !!.... لقد دفنتك بنفسى !!.. » ..

التفت (أدهم) فى سخرية إلى المدير ، وقال :

ــ أظنه اعترف أمامك بجريمة شروع فى القتل أيها المدبر .

نقـــل المدير بصـــره فى عصبية ، بين البـــارون و(أدهم) و(توبلكس) و(رودريك) ، قبل أن يهتف :

ــ من منكما سنيور (صاندو) الحقيقى

Looloo
www.dvd4arab.com

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول :

ــ سله عن الكود السرى يا رجل .

ارتبك (رودريك) بشدة ، وانكمش (توبلكس) فى ارتياع ، فى حين انعقد حاجبى البارون ، وهو يقول فى غضب :

ــ لن أخسر معركتى هنا .

مع قوله الغاضب ، اندفع الرجال المصاحبين له إلى المكان وهم يرفعون مدافعهم الإليكترونية ، وصرخ فيهم البارون بكل انفعاله وشراسته :

ــ اقتلوا الجميع .

أدهشه أن ظل (أدهم) هادئًا مبتسمًا ، والرجال يضغطون أزندة مدافعهم ، و ...

ولم تنطلق رصاصة واحدة ...

واتسعت عينـــا البارون ، مع عيـــون رجاله ، فى حين قال (أدهم) فى هدوء :

ــ هذا أحد عيوب التكنولوجيا يا رجل ... أنه يمكن مواجهتها بتكنولوجيا مضـــادة ... لو أن رجالك يحملـــون مدافع عادية ، لانطلقت رصاصاتها الآن تحصد الجميع بلا رحمة ، ولكن جهاز شوشرة إليكترونى بسيط ، يمكنه أن يوقف عملها تمامًا ، مع كل إشارات الهواتف المحمولة أيضًا ، ويحوّلها إلى خردة ، مع ضغطة زر واحدة .

تبادل الرجال نظرة مذعورة ، مع بعضهم البعض ، ثم اندفعوا مطلقين صرخات قتالية مخيفة ، نحو (أدهم) ، وهم يلوحون بمدافعهم ...

وما حدث فى اللحظات التالية ، لا يحتاج أى وصف مكرّر ....

كل ما يمكن قوله ، هو أنه بعد أقـــل من ثانيتين ، كان الرجال الثلاثة مكومين أرضًا ، و(أدهم) ينفض كفيه ، قائلاً :

ــ أظنهما صارا جريمتى شروع فى القتل أيها المأفون ، والأخيرة بها عدد لا بأس به من الشهود .

احتقن وجه البارون فى شدة ، و(أدهم) يضيف ، فى سخرية واثقـــة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أظن أنها الجولة الأخيرة من المباراة ، يا بارون الحمقى .

صرخ (توبلكس) :

ــ هو أصدر الأمر ، لا أنا.

تفجر الغضب فى ملامح البارون ، وسحب بسرعة مسدسًا عاديًا من حزامه ، ألصقه برأس المدير ، وهو يصرخ :

ــ سأنسف رأس هذا الرجل ، لو لم تفسح لى الطريق .

قال (أدهم) فى صرامة :

ــ سيضيف هذا إليك جريمة ثالثة .

صرخ البارون بكل قوته :

ــ (رودريك) .

وهنـــا سحب شـــبيه (أدهـــم) مسدسًا عاديًا فى سرعة ، وأطلقه ...

نحو (أدهم) مباشرة ...

* * *

هتف أحد من تبقى ، من رجال البارون ، برفاقه فى عصبية :

ــ إنهم لا يمتلكون سلاحًا ، ونحن لدينا أسلحتنا ، وخبراتنا القتالية ... سنشن هجومًا من كل الجوانب ، وسنسحقهم سحقًا .

سأله أحدهم فى قلق :

ــ ألا ينبغى أن نحصل على موافقة البارون أولاً ؟!

هتف به الرجل ، وهو يندفع نحو منزل المزرعة :

ــ لقد حاولت ، ولكن هاتفه لايعمل ، ثم أنه لا وقت لهذا ... هيا يا رجل .

اتخذ الرجال بسرعة وحرفية ، تشكيلاً قتاليًا متقنًا ؛ لحصار منزل المزرعة من كل اتجاه ، قبل أن يصرخ كبيرهم :

ــ هيا .

شن الرجال جميعهم هجومًا واحدًا ، من كل الاتجاهات ، وهم يطلقون نيران مدافعهم ، و ...

وفجأة ، ظهرت تلك الهليوكوبتر ، فى سماء المزرعة ...

هليوكوبتر قوية ، ليست حمراء اللون ، كطائرات البارون ...

www.dvd4arab.com

ودون أن تهبط إلى الأرض ، قفز منها رجال العمليات الخاصة المصريون ...

وقبل حتى أن تطأ أقدامهم الأرض ، كانت رصاصاتهم تنطلق ...

وأصيب رجال البارون بالفزع ...

ومع سقوط بعضهم ، حـــاول الباقـــون رد النيران ، ولكن مدافعهم الإليكترونية توقفت عن العمل فجـــأة ، عنـــدما نجح (قدرى) فى إيقاف عمل وحـــدة التحكُّم المركزية ، فتضاعف فزعهم ، وهرع بعضهم نحو طائرات الهليوكوبتر الحمراء ، التى تحمل شعار البارون ، إلا أن مقاتلاً تبقى داخل الهليوكوبتر ، أمطرها بصواريخ قوية ، نسفت الطائرات الثلاث نسفًا ...

وهنا ، لم يعد أمام من تبقى من رجال البارون ، سوى إلقاء أسلحتهم أرضًا ، ورفع أيديهم فـــوق رءوسهم مستسلمين ، وكبيرهم يصرخ مرتجفًا :

ـــ لا تطلقوا النار .... إننا نستسلم.

وداخل منزل المزرعة ، هتفت (منى) فى سعادة :

ـــ لماذا تأخرتم هكذا يا رفاق ؟!

هتف بها (قدرى) ، وهو يهبط من الطابق الثانى :

ـــ أكنت تعلمين أنهم قادمون ؟!

أجابته فى سعادة :

ـــ أخبرتك أنه لم يكن هناك خطأ فى قدومنا ... لقد كانت خطة محكمة ، وضعها (أدهم) ، بالتعاون مع مخابرتنا ، عندما لاحت فرصة للقضاء على منظمة البارون الأحمر كلها .

قال فى غضب :

ـــ كنت تعلمين ، ولم تخبرينى .

قالت فى شبه اعتذار :

ـــ تركتك تتصرف بتلقائيتك يا عزيزى (قدرى) .

ثم ابتسمت فى امتنان ، وهى تضيف :

ـــ ولقد كنت رائعًا هذه المرة .

كرر فى غضب :

ـــ كنت تعلمين ولم تخبرينى .

Looloo
www.dvd4arab.com

دخل قائد فريق القوات الخاصة المصرى المكان ، فى هذه اللحظة ، وأدى التحية العسكرية أمام (منى) وهو يقول :

ــ تمت السيطرة على الموقف يا سيادة المقدم .

ثم سأل فى اهتمام :

ــ هل الجميع بخير هنا ؟!

أجابته فى لهفة :

ــ معظمهم ... ولكن أخبرنى : ماذا عن (أدهم) ؟!.

أجابها بلهجة عسكرية صرفة :

ــ سيادة العميد بخير ... جهاز الاتصال فى قميصه ، حدد لنا موقعه ، وعلى الرغم من أطنان الرمال ، التى كانت فوقه ....

ارتجف صوتها ، وهى تقاطعه فزعة :

ــ أطنان الرمال ؟!

ابتسم ابتسامة رصينة ، وهو يقول :

ــ إنه بخير ... اطمئنى ... لقد حملته هليوكوبتر قوية إلى (مكسيكو سيتى)(*) فور إطلاق سراحه .

(*) عاصمة المكسيك، وأكبر مدنها.

وعلى الرغم من تأكيده ، لم يطمئن قلبها .

لم يطمئن أبدًا ...

* * *

من الأمـــور التى لا تكفى القـــرأة عنهـــا لإدراكها ، سرعة الاستجابة المدهشة ، التى يتمتع بها (أدهم) ، والتى تفوق كل تصورات أى إنسان عادى ...

ففى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها (رودريك) رصاصة نحوه ، مال (أدهم) جانبًا ، فى سرعة مذهلة ، واختطف مطفأة حريق ، ألقاها بكل قوته نحو البارون ، وهو ينطلق بنفس السرعة إلى الأمام ...

وعنـــدما ارتطمت مطفأة الحريق بيد البارون ، وأطاحت بمسدسه ، كان أدهم يثب فوق مكتب المدير ، ثم يعتمد بقدمه على رأس البارون ، ويركل مسدس شبيهه بكل قوته ، قبل أن ينقض عليه ، ويكيل له لكمة كالقنبلة ، قائلاً :

ــ ليس فى كل مرة .

ثم ثانية ، مضيفًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ يجد الإنسان الفرصة .

ومع الثالثة ، ختم عبارته بقوله :

ــ ليلكم نفسه .

سقط (رودريك) أرضًا فاقد الوعى ، فى حين وثب البارون ، محاولاً استعادة مسدسه ، ولكن (أدهم) ركل وجهه بقدمه ، قبل أن يلتقط المسدس ، قائلاً فى سخرية :

ــ أتبحث عن هذا ؟!

واصـل (توبلكس) صراخـه ، على نحـو هيستيرى ، واحتقن وجه البارون ، واتسعت عينـاه عـن آخرهما ، وهو يحدِّق ذاهلاً فى (أدهم) ، فى حين أسرع رجال أمـن المكان يلقون القبض عليه ، وعلى (توبلكس) الـذى انهار تمامًا ، ويكبلون رجاله فاقدى الوعى ، فى حين غمغـم البـارون فى مرارة :

ــ ولكن كيف ؟!... لا يمكنك الفرار من ذلك القبر ، الذى وضعتك فيه ؟!

أعاد (أدهم) مطفأة الحريق إلى موضعها ، وهو يقول :

ــ لقد كنت أشـبه بالتلميذ الخائب ، طـوال الوقت يا بارون الأغبياء ... قرأت ملفى ، وحفظته جيدًا... ولاحظت أننى أعمل دومًا منفردًا ، فقررت ، ومنذ البداية ، أن أخالف هذه القاعدة ، وأثبت لك أننى أعمل لحساب جهاز مخابرات قوى ، يمكنه أن يذيقك أمر هزيمة فى حياتك .

بدا البارون شديد الانفعال ، وهو يقول :

ــ ولكن كيف عثروا عليك؟!... لم تكن هناك علامة واحدة ، يمكن أن ترشدهم إليك .

رفع (أدهم) يده ، وهو يشير إلى كم قميصه ، قائلاً بابتسامة ظافرة :

ــ أنت تعشق التكنولوجيا ، وهذه لعبة تكنولوجية جديدة ، أكثر تطورًا مما تملكه ... جهاز اتصال صغير ، فائق القوة ، أرشدهم إلى موضعى فى سهولة .

قال البارون فى حدة :

ــ مستحيل !... لو أنه يعمل ، لكشفت أجهزتى أمره .

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ولهذا لم أدفعه للعمل ، طوال تواجدى فى المزرعة ... فقط عندما انتقلنا إلى الصحراء ، وعلى الرغم من حالة نصف الوعى ، التى وضعتنى فيها ، أمكننى ضغط زر التشغيل .

هز البارون رأسه فى شدة ، هاتفًا :

ــ مستحيل !... لن يعمل أبدًا ، تحت أطنان الرمال .

أجابه (أدهم) ، وهو يميل نحوه قليلاً :

ــ الرمال مكوَّنة من مادة السليكون ، وهى موصل جيد للإشارة ، ومنها تصنع الموصلات الإليكترونية الفائقة(*) .

قال البارون فى حدة :

ــ مازال هذا مستحيل علميًا .

هز (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ــ ربما ... ولكن الرجال سمعوا كل حرف نطقت به ، مع بدء عمل الجهاز ، ثم تتبعوا إشارة جهاز الاتصال الدقيق ، حتى نقطة بعينها ، وبعدها توقَّفت الإشارة ، وعندما اتجهوا بالهليوكوبتر ، نحو آخر نقطة ، توقفت عندها الإشارة ، كان من السهل رؤية ما تركته أجهزتك ، وكاميـــرات التصوير ، من آثار

(*) حقيقـــة .

على الرمال وعندئذ ، تولى الرجال الأمر ، حتى إنهم حفروا الرمال بأيديهم؛ ليخرجونى من قبرك اللعين .

بدت الهزيمـــة واضـــحة ، على ملامح البـــارون المنهار ، و(أدهم) يضيف :

ــ لو أنك أجدت قراءة ملفى جيدًا ؛ لأدركت أنك قد ارتكبت الخطأ نفسه ، الذى ارتكبه كل خصومى من قبل ، والذى راهنت أنا على أن ميولك الاستعراضية ، وغرورك المتغطرس ، سيمنعانك من فعله .

ثم مال أكثر ، مردفًا فى قوة :

ــ لقد أردت نهاية درامية ، ولم تقتلنى فورًا ، عندما ظفرت بى ، وسنحت لك الفرصة لهذا ...

غمغم البارون ، محاولاً إنقاذ ما تبقى من كرامته :

ــ سأذكر هذا فى المرة القادمة .

اعتدل (أدهم) ، قائلاً فى سخرية :

ــ الجرائم التى ارتكبتها ، ستضمن لك عقدين من السجن هنا ، فى سجون (المكسيك) ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم أضاف بسخرية أكثر ، وهو ينقل بصره ، بين البارون و(توبلكس) :

ــ وأنا واثق أنها لن تروق لكما أبدًا .

اتسعت عينا (توبليكس) فى رعب ، وشحب وجه البارون فى شدة ، وهو يستعيد كل ما سمعه ، عن تردى أحوال السجون المكسيكية ، فى حين التقط (أدهم) العقود ، من أمام مدير المكتب ، وهو يقول بابتسامة :

ــ اسمح لى .

تنهد المدير ، وألقى نظرة مقت على البارون ، قبل أن يقول :

ــ بكل السرور والاحترام ، يا سنيور (صاندو) .

تطلع (أدهم) إلى عينى البارون مباشرة ، بنظرة ظافرة ، هو يقول :

ــ الآن ، انتهت المباراة .

ومزق العقود ....

* * *

« أين ذهب رجالنا ؟!... » ...

ألقت (منى) السؤال على (أدهم) ، وهما يتفقدان خسائر المزرعة ، فأجابها هذا الأخير فى هدوء :

ــ عادوا إلى السفارة ، وستقلهم طائرة مدنية إلى (القاهرة) مساء اليوم ، فأنت تعلمين أن مهمتهم غير رسمية ، من الناحية الديبلوماسية .

قالت فى حماس :

ــ لقد كانوا رائعين .

ابتسم فى فخر ، قائلاً :

ــ هم دومًا كذلك .

اقترب منهما (بدرو) فى هذه اللحظة ، وهو يقول بابتسامة عريضة :

ــ جميـــع الخيـــول عـــادت يا سنيور ، وكل الخسائر يمكن إصلاحها .... المهم أننا قد استعدنا المزرعة .

Looloo
www.dvd4arab.com

غمغمت (منى) فى أسف :

ــ ولكنكم فقدتم عددًا من الرجال .

أجابها فى احترام :

ــ الحرية لها ثمنها يا سنيوريتا .

قال (أدهم) فى حزم :

ــ أنت على حق .

ثم وضع يده على كتفه ، مضيفًا :

ــ ولقد عدلت نهائيًا ، عن فكرة بيع المزرعة .

تهللت أسارير (بدرو) ، وهو يهتف :

ــ حقًا يا سنيور ؟!

أجابه (أدهم) :

ــ حقًا يا (بدرو) ... ولكنها لم تعد ملكى وحدى ... هناك شركاء آخرون ، يمتلكون نصفها .

بدا الإحباط على وجهه ، وهو يغمغم :

ــ شركاء آخرون يا سنيور ؟!...

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وابتسم ، قائلاً :

ــ نعم يا (بدرو) ... أنتم .

التفتت (منى) إلى (أدهـــم) فى انبهار شديد ، فى حين اتسعت عينا (بدرو) ، وهو يقول :

ــ رباه !.... نحن يا سنيور .... ولكننا كلنا لا نمتلك حتى ربع ثمنها !!...

مال (أدهم) نحوه ، وقال فى حزم :

ــ لقد دفعتم ثمنها بالفعل .

ثم اعتدل مضيفًا :

ــ بدمائكم.

ارتفع حاجبا (بدرو) ، وسالت الدموع من عينيه ، دون أن يشعر ، وهو يغمغم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ باركك الله يا سنيور ... باركك الله .

اعتدل (أدهم) ، قائلاً :

ــ هيا ... ضع خطة لإصلاح مزرعتنا .

أجهش (بدرو) بالبكاء ، وهو يتراجع ، مكررًا.

ــ باركك الله يا سنيور .

ودت (منى) بشدة لو تحتضن (أدهم) فى هذه اللحظة ، وهى تقول فى حب وانبهار :

ــ أنت عظيم .

تجاوز مديحها ، وهو يمسك يدها فى حنان ، قائلاً :

ــ تعالى نلقى نظرة على (قدرى) .

شعرت بدفء يده ، واختلج قلبها فى صدرها ، وهى تسير إلى جواره ، قائلة :

ــ لقد كان عظيمًا هذه المرة ، ولكنه غاضب بشدة؛ لأننى لم أخبره عن الخطة .

غمغم :

ــ (قدرى) يمتلك قلبًا من ذهب .

ثم توقف معها ، متطلعًا إلى (قدرى) ، الذى يجلس على مائدة الطعام ، ونساء المزرعة يحطن به ، ويضعن أمامه أطباقًا من الطعام الشهى ، الذى يلتهمه فى نهم ، وابتسم ابتسامة كبيرة ، هو يضيف فى حنان :

ــ سينسى .

وخفق قلبها فى قوة أكبر.

* * *

تمت بحمد الله

Looloo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

سلسلة الأعداد الخاصة

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

د. نبيل فاروق

14 / 1 / 012

البارون الأحمر

○ البارون الأحمر، لقب لأسطورة الطيران، فى الحرب العالمية الأولى. وهو أيضًا لقب زعيم منظمة جديدة، راوده الحلم نفسه، الذى عجز عن تحقيقه كل من سعى إليه، عبر التاريخ ... حلم السيطرة على العالم ....

○ لم تكن مهمة رسمية لـ (أدهم)، ولكنه وجد نفسه فجأة يواجه منظمة رهيبة، دون سلاح واحد، سوى مهارات اكتسبها، منذ نعومة أظفاره .....

○ كيف يمكن لرجل أعزل، أن يواجه جيشًا وحشيًا، وسط صحراء قاحلة ؟!..

○ كيف تكون المواجهة ؟!.. وإلى ماذا ينتهى الصراع ؟!.. وكيف ؟!..

21

* اقرأ التفاصيل المثيرة، وتساءل، من سيربح فى النهاية: (رجل المستحيل)، أم (البارون الأحمر) ؟!

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع